العائلة

آرتور سيمونيان

الـعـــائـلـــة

يُقدِّم هذا الكتاب الصورة الحقيقية للعائلة المسيحية الصحيحة، التي يتّحد أفرادها مع بعضهم البعض على أُسسٍ إلهية منبعها الكتاب المقدس، وبهذا يسود في العائلة المحبّة والسلام والسعادة الحقيقيّة...

تـأليف

القس: آرتور سيمونيـان

فهرس الكتاب

المُقدِّمة ٥

١– ما هي العائلة في الحقيقة؟.. ٧

٢– الاختيار والزواج ٢١

٣– لغات الحب الخمس ٥٩

٤– الاحتياجات العاطفية والطبيعية العشرة ٦٧

٥– الفصول الأربعة في الحياة العائلية ٨٥

٦– خدمة الرجل في العائلة ٩٣

٧– خدمة المرأة في العائلة ١٠٣

٨– تربية الأطفال ١١٧

٩– واجبات الأطفال ١٥١

١٠– نصائح من كلمة الله ١٥٧

المقدّمة

العائلة هي تلك الهدية التي أهداها الله للإنسان بعدما خلقه، فهي إذاً هديّة الله الأولى للبشريّة.

لقد أَوْجَدَ الله العائلة في هذا العالم قبل أنْ يوجِد الكنيسة.

كثيرٌ من الناس يعتقدون بأنّ الكنيسة، التجارة، والعمل يلعبون الدور الأساسيّ الوحيد في حياتهم. لكن في الوقت الذي لم تكن فيه الكنيسة قد وُجِدَتْ بعد، ولم تكن التجارة معروفة، ولم يكن هناك عملٌ مهمٌّ من أيّ نوع، ولم تكن هناك وسائل ترفيهيّة كما هي اليوم... كان الله قد أَوْجَدَ العائلة. هناك فئة من الناس تسود في أذهانهم هذه الفكرة: «سأتمتّعُ بالحياة، ومن ثمّ أتزوَّج». ولكن لو كان الله يعتبر بأنّه من الممكن أوّلاً الاستمتاع بالحياة ومن ثمّ الزواج، لما كان ليخلق العائلة أوّلاً. فالله عندما أَوْجَدَ العائلة منذ البدء، كانت تسود فيه حقيقةً راسخةً وهي: «التمتّع الحقيقيّ بالحياة يتحقّق ضمن إطار العائلة فقط». فالإنسان ليس بإمكانه فَهْم معنى الحياة والاستفادة من ملذّاتها أجمعين، إلاّ ضمن نطاق العائلة المبنيّة على أُسسٍ إلهيّةٍ قويّة.

(1)

ماهـــي العــائـلة في الحقيقـــة؟

لكي تكون لدينا كنيسة ثابتة وقوية، يجب أن تكون لدينا عوائل ثابتة وقوية. من المؤسف أنّ الناس اليوم يرتّبون حياتهم بشكل يُخفّف عنهم المسؤولية تجاه بعضهم البعض. فلدى هذه الفئة من الناس تصوّر خطير، وهو أنّ العائلة أو رابط الزواج هو مجرّد علاقة جنسية بين الرجل والمرأة، أو هو الحيّز الذي يُسمح فيه بممارسة الجنس بحرّية. لذا يسعى الكثير من الناس اليوم لإيجاد الرابط الجنسي بين الطرفين خارج نطاق الزواج المسيحي الصحيح، وذلك باللجوء إلى الزواج المدني فقط. وكثيراً ما نرى اليوم أن وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة، تُروِّج وتمهّد بشكل كبير، وتدعو الناس إلى هذا النوع من الارتباط. فيلجأ الكثير منهم إلى إيجاد شريك حياةٍ مؤقّت، لإتمام نزواتهم الشهوانية. وحتّى إن صادف وتزوّجوا بعد هذا النوع من العلاقات غير الصحيحة حسب المفهوم المسيحي، فهم يقرّرون في الكثير من الحالات عدم إنجاب الأطفال من السنوات الخمس إلى العشر الأولى من الزواج. وهناك اليوم زواجات بين مثليي الجنس مباحة مدنياً في بعض الدول، وبما أنّ المتزوّجين لا يجدون الاكتفاء من هذا النوع من الزواج لكونه ضد مخطط الله، فهم يلجأون إلى تبنّي الأطفال. إذاً فالسعادة الحقيقية والاكتفاء التّام لا يمكن للفرد أن يجدهما إلاّ ضمن إطار العائلة المبنيّة بحسب مشيئة الله وإرشاده.

أنا أرى أنّ العائلة يمكن أن تكون مصدر بركات حقيقية للزوجين، كما يمكن لها أن تكون سبب نقمة وتعاسة بالنسبة لهما، حيث بإمكان

العائلة أن تُحوِّل حياتك إلى جنّة أو أن تقلبها إلى جحيم. وكل هذا متوقّف على رؤية ومفهوم كِلا الزوجين عن العائلة ومعنى وجودها في العالم. واليوم نرى الكثير من العائلات تلجأ إلى طلب الطلاق، لأنّ حياة أفرادها لم تؤسَّس بشكل صحيح، حيث أنّهم يطلبون أشياء لا تستطيع العائلة أن تُقدِّمها لهم.

غالباً ما يعتقد الناس أنّ السعادة تتحقق بالزواج، ولكن هذا اعتقاد خاطئ للأسف، فأنا مثلاً لا يمكن لأحد أن يقنعني بأنّ الزواج يجلب السعادة والفرح إلى نفس الإنسان. لا، وبل أستطيع أن أُثبِت له بأنّ الموارد المالية تجلب السعادة للإنسان أكثر من الزواج، والسبب بكل بساطة لأن الله لم يمنح سُلطان إسعاد الإنسان للزواج. فنحن في الكتاب المقدس نستطيع أن نرى وبكل وضوح أنّ الله أعطى للإنسان سلطاناً كبيراً «ثم قال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا، كمثالنا، فيتسلّط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى الأرض وعلى كلّ زاحف يزحف عليها» تكوين ١:٢٦. ولا نقرأ أبداً في أي مكان من الكتاب المقدس أنّ الله قال: «ها أنا أعطي للزواج سلطاناً من أجل إسعاد البشر»، وبهذا نفهم أنّ سلطان إسعاد العائلة قد مُنِح للإنسان الذي هو على صورة الله، وليس للزواج بحدّ ذاته. فإذا كنت تعتقد بأنّ الزواج سيُسعِدك أو يمنحك حلاً لمشاكلك فأنت على خطأ كبير. وأمّا الرؤية الصحيحة للزواج فيجب أن تكون كالآتي: أنت من يجب أن تقوم على إسعاد زواجك، وليس الزواج من سيقوم على إسعادك. ولكن مع الأسف يقول الكثيرون: «هيا لنتزوج لنكون سعداء»، ويعتقدون أنّهم حالما يتزوّجون، تزول كل العقبات من حياتهم ويُعاد ترتيب أمورهم بالشكل الصحيح. لكن في الحقيقة الخلاف بين الزّوجين يبدأ من هذه النقطة تحديداً، فما إن يتزوجوا حتى يلجأوا إلى الطلاق، وهكذا بات الطلاق اليوم مُهدّداً الكثير من العائلات، كما

أصبح تعداد الزواجات غير الناجحة يزداد يوماً بعد يوم، والسبب أصبح واضحاً: قبل الزواج كانوا يفكّرون بأنّ الزواج سيمنحهم أشياء كثيرة، لكنهم بعد الزواج لم يجدوا شيئاً مما توقّعوه، فصُدِموا بالواقعِ الذي كان مبنياً على أُسس خاطئة، وأصابتهم خيبة أمل عظيمة. كثيراً ما نسمع قولاً شائعاً جداً وهو أنّ «العاقل لا يفكّر بالزواج»، لكن عندما نرجع إلى كلمة الله، نرى أنّ مشيئة الله أن يتزوّج الإنسان، فغالباً ما يتزوج الناس دون أن يُدركوا ما الذي سيفعلوه بعد ذلك. نحن نعلم أن لكل شيء في الحياة أسلوبه وطريقة الاستفادة منه، وبإمكاننا أن نرى اليوم الكثير من الأجهزة التي تُرفَق معها بيانات خاصّة بالمُستهلِك حول كيفية الاستفادة من خدمات الجهاز والمحافظة عليه. فمثلاً لو كنتَ مُزارِعاً وتملك حاصدة حديثة، لكنّك لا تعرف كيف تقودها لتحصد محصولك، فعندما يحين موسم الحصاد ستركبها وتمسك بمقودها وتقودها في دائرة مغلقة من دون أن تستطيع إدخالها إلى الحقل لحصاد حنطتك، وعندما تتعب من الدوران، ستخرج منها وتقول أنّها لا تنفع لشيء، وستتخلّى عن تلك الآلة إلى الأبد، وستبحث عن وسيلة أخرى لجمع محصولك، وكلّما تحدّث أحد عن آلة الحصاد ستقول له: «اسمع، إنّها أسوأ آلة اخترعها الإنسان على الإطلاق، فالعاقل لا يشتري تلك الآلة». لكنّ الموضوع ببساطة أنّك لم تعرف كيفية استخدامها وطريقة الاستفادة منها. وهذا الأمر ذاته يحدث في الزواج والعائلة. لقد كُتِب لأوّل مرّةٍ عن الزواج وآليّة عمله في الكتاب المُقدّس، فالناس يعلمون أنّهم يجب أن يتزوّجوا، لكن لا يعرفون سبل الاستفادة من الزواج والتمتّع به، فعلى الناس أن يقرأوا الكتاب المقدس قبل وبعد الزواج، ليحافظوا على العائلة بحسب إرشاده وتوجيهاته المقدسة. مع الأسف أنّ الكثير من الناس يتزوّجون، أي يدخلون ضمن عائلة جديدة، لكن لا يعلمون ما يجب فِعلهُ لتشغيل آلية العائلة، وذلك تماماً كمِثال آلة الحصاد في يد المُزارِع

الجاهل. فهم يعتقدون بأنّ الزواج سيجلب لهم السعادة، فينتظرون شهراً، فشهرين، ثمّ سنة، فسنتين، وبعدها يقولون: «لا شيء صالح في الزواج، لم نجد فيه أيّ شيء يُذكر»، وذلك بسبب جهلهم للأبعاد الحقيقية للعائلة وآلية تحكيمها. لكن لو كانوا قد عرفوا أبعاد العائلة الحقيقية وقيمتها، لكنت تراهم يُقدِّمون شهادات عظيمة عن بركات لا مثيل لها في الزواج والعائلة المسيحية.

إذاً فالسبب الحقيقي للانفصال واللجوء إلى الطلاق بين الأزواج، يعود لكونهم لم يعرفوا كيفية التصرّف بعد الزواج، ولم يتمكّنوا من المحافظة على رابط الزواج والعائلة. لا يمكن للإنسان أن يُعبِّر عن ذاته بحرّية في الأماكن العامّة مثل العمل، الجامعة، النادي ودور السينما، وإنما يتمكّن من ذلك ضمن إطار عائلته فقط. العائلة هي الحيِّز الذي يتمّ فيه التعبير عن ذات الإنسان بشكل كامل، فالإنسان ضمن عائلته حرّ في شأن ملبسه وسلوكه وتفكيره. ولكننا للأسف نرى أحياناً أنّ ربّ الأسرة يحاول التعبير عن ذاته من خلال ممارسة الضّغط على زوجته وأولاده في نفس الوقت. فمثلاً هو يوقِظ زوجته في وقت مُبكِّر لتُعِدَّ له الشاي أو القهوة، في الوقت الذي ترغب هي فيه بالنوم، أو يفرض على ابنته أن تخدم أخيها وأن تراعي مشاعره، في الوقت الذي تشعر هي فيه بأنّ اهتمام الآخرين بها أقل. من المفروض احترام شخصيّة وذات كل فرد في العائلة!

لا يستطيع الإنسان أن يبلغ ذروة كماله بين العامّة، وإنما يتمكّن من ذلك في منزله. فأنا مثلاً أذهب دائماً إلى بلدان مختلفة بهدف الوعظ بالكلمة، وعادةً ما يستضيفونني في فنادق فخمة تكون أروع من بيتي الخاص، حيث فيها فسحات أخّاذة، وأحواض سباحة، وحدائق، وغرف

نوم أنيقة مع خدمات لامثيل لها، ولكن ماذا تظنّون؟ هل ارتياحي يوازي ما أجده من راحة في بيتي مع أفراد عائلتي؟ طبعاً لا!! يوماً ما عندما استلقيتُ على فراش مريح في إحدى الفنادق، فُتحت فجأةً ستائر النوافذ تلقائياً أمامي، وتراءت لي المدينة بذروة جمالها، كما كانت جميع وسائل الرفاهية متوفّرة. لكن بالرّغم من كل ذلك، كنت أقول في نفسي: «متى سأعود إلى بيتي؟». ربما تفكّر أن سبب حنيني إلى المنزل مرتبط بأفراد أسرتي فقط، ولكن تصور أنّه قد حدث أيضاً أن نزلت بصحبة عائلتي في فنادق مماثلة إلاّ أننا كنّا نحلم جميعاً بموعد الرجوع إلى المنزل. فما هو السر الذي يكمن ضمن جدران منزل العائلة؟ لقد أدركت أنّه على الرغم من تواجد كل وسائل الراحة والاستجمام في الفنادق، إلاّ أنّنا مقيَّدون بقوانين الفندق التي يجب أن نحترمها. لكن في بيتنا نحن غير مقيّدين إلاّ بالقوانين التي نضعها نحن ونُطبِّقها بإرادتنا.

أريد أن أتحدّث الآن عن خدمة وواجبات الرجل، لأنّني أعتقد أنّه إلى أن يحين وقت الزواج، على كل الأولاد أن يصبحوا رجالاً أولاً. فنحن لا نولد رجالاً، بل نتحوّل إلى رجال. كثير من الشبّان يبقون طوال حياتهم كالأطفال، ولكنّهم يقولون: «يجب علينا أن نتزوّج»، لكن هل فكروا كيف سيتزوجون!

بإمكاننا سماع الكثير من الأمّهات اللواتي يقلنَ: «ها قد دَرَّستُ ابني في الجامعة، والآن بعد أن تخرّج عليَّ أن أُزوِّجه». هل تعلمون؟ إنّ هذا الشاب لن يتحوّل إلى رجل طالما أنّ أمّه هي التي تحدّد قرارات حياته وتختار بنفسها ما تراه مناسباً من أجله. إنّ الرجل الحقيقي هو من يتّخذ قرارات حياته بنفسه، وهو الذي تحدّث عنه الكتاب المقدس في

أمثال ٣٠:٣٠ مُشبِّهاً خدمته بالأسد: «فالأسد أقوى من كل الوحوش، ولا يتردّد أو يتراجع أمام أي خصم». لكنّنا في الحياة نرى أنّ الكثير من الرّجال المتزوّجين يتراجعون أمام المصاعب ويتركون أُسَرَهم وينكرون العلاقة التي تربطهم بزوجاتهم وأولادهم، وهم بذلك لا يُشبهون الأسود أبداً. وكثيراً ما نرى أيضاً أنّ الرجل عندما يلاحظ امرأةً أجمل من زوجته، يتخلّى عن مبادئه ويذهب مع رفيقته الجديدة، وهذه ليست بطولة! لكن الرجل والزوج الحقيقي هو من لا يتراجع عن موقفه وعلاقته بزوجته وعائلته مهما تلاطمت في وجهه أمواج الغرائز والمستجدّات الطارئة، بل يقف كالأسد في وجهها دفاعاً عن سلامة أسرته.

«كما هو مكتوب في ناموس الربّ: أنّ كل ذَكرٍ فاتح رحم، يُدعى قدوساً للرب» لوقا ٢:٢٣.

هنا يتحدّث الإنجيل عن الرجل، أي عن مشيئة الله في حياة الرجل، فكلمة الربّ تقول أنّ كل فاتح رحم يدعى قدّوساً للرب. فالقداسة هي التي تُظهِر قوة الرجل، ويمكننا القول أن القداسة هي أعظمُ قوة للرجل. فالرجل الحقيقي يجب أن يكون مُقدِّساً ذاته للرب، وقد كان المبشِّر المحبوب ادفين كولْن يُكرّر دائماً: «الرجل الحقيقي يجب أن يتشبّه بالرب يسوع في كل تصرّفاته» أيّ أنّ التحوّل إلى رجلٍ حقيقي يعني التشبّه بالمسيح، كما يجب أن تُختم جباهنا بختمٍ واحدٍ وهو ″قدّوس الرّب″، ويجب أن يعلم الجميع أنه لا يمكن لأحد أن يستدرج قدّوس الربّ إلى الخطيئة. وبإمكاننا أن نرى في الكتاب المقدّس صوراً جميلة لرجال حملوا ملامح حقيقية للرجولة بحسب مشيئة الله.

أعتقد بأنّه على الشاب الراغب في الزواج أن يتّخذ أوّلاً قراراً بأن يصبح

رجلاً حقيقيّاً، وهذه مشيئة الله، لأنّ هذا القرار سيجعله يتراجع دائماً عن الخيانة، وأي رجل بهذه الصفات سيتمكن من تأسيس عائلة متينة وقوّية وفي علاقة سويّة مع الله.

ما الّذي يحتاجه الرجل الحقيقي؟

فلنحدِّد بعض الخواص التي يحتاجها الرجل الحقيقي:

١– الرجل الحقيقي هو من يستطيع أن يتّخذ قراراته بنفسه، ويتمسّك بها:

فلو قرّر الرجل الحقيقي أن يسير وراء الرب يسوع، وأن يذهب إلى الكنيسة، وأن يخدم الرب بحسب النعمة المعطاة له من الروح القدس، فهو لن يتراجع عن هذه القرارات أو يفكر في تغييرها مهما كانت الظروف قاسية أو صعبة. لأن شخص كهذا إذا ما ابتعد عن الرب يسوع، فهو قد ابتعد إذاً عن رجوليته الحقيقية. فهو لو ارتدّ عن الكنيسة إلى العالم، فالمسألة هي ليست عدم الذهاب إلى الكنيسة فقط، بل هي التوقّف عن الاستمرار كرجل حقيقي. فكل رجل عندما يخرج من الكنيسة ليدخل العالم، يكون قد فقد جانباً مهماً من رجوليته، حيث أنّ الرجل الحقيقي لا يتراجع عن أي شيء.

قال لي أحد خُدّام الكنيسة يوماً: «هناك شبّان يعرضون الزواج على فتاةٍ ما، ومن ثمّ يأتون ليعرضوا الزواج على فتاةٍ أخرى. فماذا تقول عن هذه الفئة من الشباب؟». أجبته: «يجب على هؤلاء الذكور أن يجدوا أوّلاً رجولتهم الحقيقية التي أضاعوها»، لأنهّ وبكل بساطة عندما يختار الرجل الحقيقي امرأةً كشريكةٍ لحياته، لا يعود فيغير قراره ناكراً اختياره الأول ومُتّخذاً قرار واختيار جديدين.

٢- يجب على الرجل الحقيقيٍ أن يُظهِر في كل وقت، قوته الرجولية:

وهنا لا أعني أن يُظهِر قوته الرجولية لزوجته، بل يجب أن يُظهِر قوته ورجوليّته للشيطان وأجناد الشر. كل رجل يجب أن تكون له أهداف في حياته، وهناك خمس مراحل يجب أن يمر بها الذكور في الحياة:

المرحلة الأولى هي مرحلة التحوّل من الطفولة إلى البلوغ. وهذا التحوّل لا يعتمد على تقدُّم السنين فقط، بل هو نضوج وتحول على الصعيدين الفكري والنفسي. ومن ثم تَتْبَع هذه المرحلة مباشرةً مرحلة ثانية وهي مرحلة التحوّل من البلوغ إلى الرجولة، وهي مرحلة صعبة، حيث أنّنا كثيراً ما نرى رجالاً بلغوا سن الأربعين وحتّى الستّين، ولكنّ أفكارهم مازالت طفولية جداً وغير ناضجة، فتراهم يتخاصمون من أجل أتفه الأسباب. وهناك أيضاً نساء في سنّ الستّين يَقُلنَ لبعضهنّ: «أنا لا أريد أن أتحدّث معكِ»، وفي نفس الوقت نلاحظ أطفالاً صغاراً يقولون الشيء ذاته لبعض، وهذا يدل على أنّه ليس هناك فرق بين مستوى التفكير في كلتا الحالتين. فكلّما ابتعد الإنسان عن التفكير الطفولي، دلّ ذلك على أنه ابتدأ المسير نحو النضوج الحقيقي، وهكذا:

أولاً، التحوّل من الطفولة إلى البلوغ.
ثانياً، التحوّل من البلوغ إلى الرجولة.

وأما المرحلة الثالثة فهي مرحلة صعبة أيضاً، وهي مرحلة التحوّل من الرجل إلى الزوج. غالباً ما يتزوّج الشبّان، ومن ثم يردّدون عباراتٍ كهذه: «أنا ذكرٌ، فأنا رجل.. انتهى». هذا خطأ! إنّ المتزوج ينال مهمّة جديدة، فهو الآن زوج. عندما نراقب حياة الكثيرين من الشباب، نلاحظ أن حياتهم لم تتغير بعد الزواج، فهم كما كانوا قبل الزواج، من دون أي

تغيير. لكن في الحقيقة، إنّ الرجل بعد الزواج يجب أن يتغير بشكل جذري عمّا كان عليه قبل الزواج. يجب على الناس أن يلاحظوا ذلك التغيير، فبعد الزواج يجب على الشاب أن يعطي لبيته وزوجته وأطفاله اهتماماً وتفرُّغاً أكثر من كل اهتماماته الخاصة الأخرى، كما أنّ أفكاره وقراراته يجب أن تكون دقيقة وحكيمة أكثر، لأنّها مصيرية لا تخصّه وحده، فهو الآن مسؤول عن قيادة جماعة.

المرحلة الرابعة أيضاً تحتاج إلى تبدُّل جذري، فهي مرحلة التحوّل إلى أب. فالكتاب يقول: «المعلّمون كُثُر، لكن الآباء أقلاّء» أي يمكن للأبِ أن يعطي معلومات ونصائح وأفكار كثيرة لأبنائه، لكن لا يكون في قلبه شيء من الأبوّة نحوهم. كما ويجب أن يكون الأب في العائلة بمثابة صديق لأبنائه، وفي نفس الوقت حامل مسؤولية العائلة وقائدها.

والمرحلة الخامسة أيضاً هي ليست بالأمر اليسير، فهي مرحلة التحوّل من الأب إلى الجَد. يمكن للبعض القول: «إنّ هذا سهل وليس بالأمر الصعب، لأن السنين تمرّ بسرعة، والإنسان ينتقل إلى هذه المرحلة بشكل تلقائي». كلاّ، لا علاقة للعمر ومرور السنين بهذا التحوّل، بل الموضوع كله متوقف على قَدْرِ احترام الجَدّ لابنه، أي كم أنت واثق بمقدرة ابنك في قيادة أسرة جديدة. فلو أردْتَ فِعلاً أن تنتقل من مرحلة الأب إلى مرحلة الجَد، فعليك أن تكتسب ثقة تجاه ابنك بأنّه قد أصبح قادراً على رعاية أسرةٍ بمفرده من دون خلل، وعليك أن تعطيه الحرّية بوضع نواة بيتٍ جديد وتكوين أسرة مستقلّة، وبكلمة أُخرى عليك أن تتنازل لابنك بحق قيادة أسرته. إذاً لو أردْتَ أن تُصبح جَدّاً، فعليك التنازل عن مكانة الأب لابنكَ.

لقد رأينا معاً خمس مراحل مختلفة يمرّ بها الذكور:

١– من طفلٍ إلى بالغ.

٢– من بالغٍ إلى رجل.

٣– من رجلٍ إلى زوج.

٤– من زوجٍ إلى أب.

٥– من أبٍ إلى جد.

لكن وبكل أسف، هناك الكثير من الذكور الذين يُمضون كل هذه المراحل في حياتهم وهم مازالوا بعد في مرحلة الطفولة.

لنتحدّث الآن عن خدمة وواجبات الإناث قبل الزواج.

ما هو الوضع الذي يجب أن تكون فيه الفتاة؟

قبل كل شيء، المرأة عبارة عن زهرة، لا يرغب الناس إتلافها. فهي يجب أن تحافِظ على وضعها كزهرة.

لكن ما هو سلاح المرأة الرئيسي؟ سلاح المرأة أُنوثتها. يمكننا أن نرى في الحياة اليوم كثيراً من النساء اللواتي يتعاملنَ كالرّجال. فغالباً ما نلاحظ في الأندية وأماكن الترفية إناثاً يصعب علينا تمييزهنّ عن الذكور، فهنَّ في وضعية جلوسهنّ ووقوفهنّ وحركاتهنّ وكلامهنّ وملبسهنّ لا يختلفنَ كثيراً عن الشباب، وبذلك هنَّ لا يُدركنَ أنّهنّ يفقدنَ أهمّ قوة في حياتهن، ألا وهي أنوثتهنَّ.

نستطيع القول بأن الملكة أستير قد انتصرت على الشيطان، وخلّصت

شعب إسرائيل بقوة الله وفضل أنوثتها. هي لم تفعل هذا بفضل ″معارف″ لها، بل بفضل أنوثتها. لقد كانت تحافظ على نفسها وتهتم بمظهرها إلى أن يحين موعد زواجها.

في ذلك الوقت كانت القوانين تمنع الملكة من الدخول على الملك، إلاّ بدعوة من الملك نفسه، وبعكسها كانت تُقتل الملكة. لكن إذا شاء الملك ومدَّ قضيب الذهب الذي يحمله بيمينه نحوها، فكانت الملكة تسلم من أذى حرّاس الملك، وكان الملك يسمع لما جاءت تطلبه منه. كانت الملكة أستير امرأة روحانيّة، صلّت وصامت ومن ثم دخلت إلى قاعة جلوس الملك. وهو عندما لاحظ جمالها وأنوثتها، بسط قضيب الذهب نحوها كعلامة على قبوله لمثولها بين يديه، فلم يكن من المعقول أن يسمح بأن يمسّها أي أذى.

ماذا فعلت أستير قبل أن تصبح ملكة؟

«وكان يحقّ لكلّ فتاة جاء دورها للمثول أمام الملك أحشويروش، بعد أن يكون قد انقضى عليها إثنا عشر شهراً، حسب سُنَّةِ النساء، أنفقت ستّة أشهر منها في التعطُّر بزيت المر، وستة أشهر بالأطياب والعطور، وهكذا تكمل أيام تعطّرهنَّ، أن يُعطى لها عندما تدخل للمثول في حضرة الملك كلّ ما تطلبه من جناح النساء لتنقله معها إلى قصر الملك.» أستير٢: ١٢، ١٣. إذاً، إلى موعد زواجهنّ، كانت تلك النساء بحسب التقليد يغتسلن ستة أشهر بزيت المر، وستة أشهر أخرى بالعطور والأطياب التي تُعطِّر النساء. وكانت أستير ترى في هذه التحضيرات خدمة خاصة بها. قد تتساءل أنت: ″أيّة خدمة كانت تلك؟ ما فائدتها؟″ إنّ كل تلك التحضيرات كانت لفائدة وخلاص شعبها في الأيام القادمة. كانت تفوح من الملكة أستير روائح الأطياب والعطور، وقد كانت مفعمة بالأنوثة. وهنا أريد أن أكرّر

ما قلته سابقاً بأنَّ قوّة المرأة في أنوثتها، ومن واجب كل النساء أن يتخذن من أستير قدوة لهنّ في تتبّع خطواتها لتكميل أنوثتهن.

يفقد العالم تدريجياً اليوم شيئين رئيسيّين: الأول هو فقدان الذكور لرجولتهم (أي اتّباعهم للحق)، والآخر فقدان الإناث لأنوثتهنّ. فهاتان القوتان اللّتان مُنحتا من الله للبشرية بدأتا تضعفان وتنهاران مع مرور الوقت.

يجب على المرأة أن تكون سرّاً من أجل الجميع، ومباحة من أجل شخص واحد فقط، كما يجب أن تُدرك قوتها ومكانتها من دون أن يقنعها ٍأحدٌ بذلك. ومن المهم أن تبرهن لنفسها بأنها مخلوق عجيب تفنّنَ الله في خلقه، كما يجب عليها أن تصمد في وجه المجاملات الآسِرة من قِبَل الآخرين. عادةً ما يتهجَّم إبليس على النساء بشكلٍ خاص موسوساً لهنّ هكذا: «اُنظري إلى نفسكِ في المرآة، أنت لست جميلةً.. أنتِ لا تنفعين لشيء». هل تريدون أن أبوح لكم بسِرّ: "ليس هناك شخص معجبٌ بمظهره بشكل تام". لا تعتقدي بأنّكِ الأولى التي ترى أعذارها المظهرية عند النظر إلى نفسها، لكن في الحقيقة عندما ينظر الآخرون إليك، يرون محاسنك. فمثلاً لو أنّك في سن الأربعين، فأنتِ على مدى أربعين سنةٍ ترين نفسك في المرآة وتُركّزين على الجوانب السلبية في شكلك، بينما كان الناس طوال تلك السنين ينظرون إليكِ وهم غير مبالين أو منتبهين لما كنت تركّزين عليه. في الكثير من المرات يحاول إبليس خداعك بالقول بأنّكِ لا تهمّين أحد. إنّ ذلك كذب، فالكلّ جميلاتٌ بشكل مميّز. اليوم وفي كل مكان، إناثاً كانوا أم ذكوراً يحاولون أن يسيروا وفقاً للمستجدّات (الموضه)، فيجرّبون وسائل شتّى لتقليل أوزانهم، وذلك باتباع حمية قاسية أو تناول العقاقير التي تساعد على ذلك. وكل

هذا ليكون الواحد مرغوباً للآخر. ومؤخّراً قال لي أحد الأصدقاء وهو طبيب أنّـه في السنـوات الخمس الـقـادمـة سترتـفـع نسبـة الـوفـيّـات بين الشبـاب، وذلك لـعـدم تنـاولـهم الأغذيـة الضـروريـة خوفـاً مـن السمـنـة. المشكلة لدى النساء أنّه هنـاك الكثيرات منـهنّ من يتّخذن من عـارضـات الأزيـاء قدوة لـهنَّ، ويحـاولـنَ أن يتمثّلـنَ بـهنَّ في كل شيء، ولكن في الحقيقة لو نزعنَ تلك العـارضـات ملابسهنَّ الجذّابة من على أجسادهنّ الهزيلة وأزلن المكياج عن وجوهـهنَّ، تُرى هل سيزلنَ لافـتـات للانتبـاه؟ حيث أنّ الكل يردن أن يتشبهن بـهنَّ ظانّـات بـأن سر الزواج يكمن في ذلك، لذا يجب أن يخفّفن من أوزانـهن حتى يميل إليـهن شخص مـا. النـاس منخدعون، والفتـاة النحيفة مخدوعة لأنـهـا تقول: «أنـا سمينـة»، ولكنّك تنظر إليهـا وتستغرب من أين أتت بتلك الفكرة بـأنّها سمينـة. إنّ نسبة كبيرة من عـارضـات الأزيـاء قد خضعنَ لعمليـات تجميل متنوعة، وجمـال قـامـاتهن مصطنع وليس بـحقيقي، فـهنّ لم يحصلن على كلّ ذلك بـاتبـا ع حمية غذائية خـاصـة فقط. لذا مـهمـا كنتِ نحيفة، فلن تكوني مثلـهنَّ، وستظلي تكتشفين فيك نقـاطـاً جديدة تُقنعك بـأنّك لست مثـاليّـة. الكثير من النـاس اليوم يخشون تنـاول الطعـام، وأنت إذا كنتِ تسمنين، فـهذا ليس بسبب الطعـام، بل بسبب خوفكِ من تنـاول الطعـام. إذاً تحرّري من خوفك أوّلاً ومن ثمّ تنـاولي الطعـام، ولكِ ألف صحّة وعـافية. لقد أعطى الله الطعـام لكي نتنـاوله، لكن طبعـاً بـحدود معيّنة.

كنت أعرف صديقتين، حيث كـانت الواحدة منـهنّ بدينة بعض الشيء، والأخرى نحيفة وفخورة بنفسهـا. كـانت البدينـة تعـاني من عقدة النقص وتشعر أنـهـا مضغوطة. لكن مع مرور الأيـام هل تعلمون مـاذا حدث؟ تقدّم شاب للزواج من السمينـة، فتزوجت وأنجبت طفلين، ومـا زالت الرشيقة حتّى اليوم تنتظر أن يتقدّم أحد مـا لخطبتهـا. يتّضح أنّـه هنـاك أذواق

مختلفة، فهناك رجال يرغبون بنساءٍ سميناتٍ بعض الشيء، لذلك قلت بأنّه كلّ فتاةٍ جميلة بشكلٍ خاصّ، لذا لا تكوني مخدوعة ولا تحاولي أن تقلّدي أو تتخذي من الأخريات قدوة لك في الشكل، بل حافظي على شخصيتك ومظهرك المميز. فإذا كنت وردة فلا تُشَبِّهي نفسك بالفل، عيشي بارتياح وحرّية، وكوني متّزنة تجاه المجاملات، وتذكّري دائماً بأنّ الرجال ينجذبون إلى الأنوثة أكثر من الشكل والمظهر.

في الكتاب المقدّس هناك مواضيع كثيرة خاصة بالنساء:
«المرأة الجميلة المجرَّدة من الحكمة كخزامةٍ من ذهب في أنف خنزيرة» أمثال ١١: ٢٢ أي أنّها جميلة لكنها تفتقر للأنوثة والميزات الأنثوية. إنّ مجد المرأة وقوّتها يكمنان في أنوثتها ووداعتها فقط.

(2)

الاختيــار و الــزواج

«وأمّا من جهة الأمور التيٍ كتبتم لي عنها: فحسنٌ للرّجل أن لا يمَسَّ امرأةً» ١كورنثوس٧ : ١

يشير البعض إلى هذه الآية قائلين: «انظروا، إنّ الرسول بولس قد أعلن بأنّه خيرٌ للرّجل ألاّ يمسّ امرأة». ولكن نحن لا نملك فكرة عن حقيقة الأمور الّتي كتبوها لبولس الرسول وبمن كانت تتعلّق. لقد كتب بولس الرسول: «وأمّا من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها..»، فهنا لا يبدأ الكلام هكذا: «وأمّا الربّ فقال: حسنٌ للرجل أن لا يَمَسَّ امرأةً» بل مكتوب: «وأمّا من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها: فحسنٌ للرّجل أن لا يمَسَّ امرأةً».

نحن لا نعلم على أيّة رسالة كان الرسول بولس يردّ.

الكتاب المقدّس من سِفْر التكوين إلى سِفْر الرؤية يتحدّث عن الزواج، وهو يُعبِّر كلّياً عن مشيئة الله للبشر حول تكوين عائلة، والنّمو والتكاثر، وإملاء الأرض.

«فحسنٌ للرجل أن لا يمسّ امرأةً. ولكن لسبب الزِّنا، ليكن لكلِّ واحد امرأته، وليكن لكلِّ واحدةٍ رجلُها» ١ كورنثوس ٧: ٢،١.

لو شدّدنا انتباهنا على هذه الكلمات فقط، عندها كانت ستعمّ الفوضى في العائلات، لأنّه بذلك نكون قد عزلنا تلك الآية من الكتاب المقدّس

دون أن نربطها مع مفاهيم الكتاب المقدّس عامّةً. تقول كلمة الله بأنّه ذكراً وأنثى خلقهما، وجمع بينهما ليكونا واحداً، ومن ثمّ: ليتزوّجا تجنُّباً للزّنى. يتهيّأ لنا بأنّ بولس الرسول يأذن بالزواج لمكافحة الزِّنا فقط. لو كان ذلك هو سبب الزواجِ فعلاً، فإنّه على السّواء ستبقى أعْيُن الكثيرين خارجاً. إنّ الزواج لا يُخلِّص الإنسان من روح الدعارة والزِّنى، بل هناك سرٌّ آخر، حيث كانت هناك رسالة قد أُرسلت للرسول بولس، وقد كان بولس يردُّ عليها. ومن ثمّ يُكمل: «ليوفِ الرّجل المرأة حقّها الواجب، وكذلك المرأة أيضاً الرجل. ليس للمرأة تسلُّط على جسدها، بل للرجل. وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلُّط على جسده، بل للمرأة. لا يمتنع أحدُكما عن الآخر، إلاّ أن يكون على موافقة، وإلى حين، لكي تتفرّغا للصوم والصلاة. ثم عودا إلى الحياة الزوجيّة العاديّة لئلاّ يعوزكم ضبط النفس، فتقعوا في تجربة إبليس. ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر، لأنّي أتمنّى أن يكون جميع الناس كما أنا. لكن لكلِّ إنسانٍ هبةٌ خصَّهُ الله بها، فبعضهم هذه وبعضهم تلك. ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنّه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا» ١كورنثوس٧:٣–٨

وهنا تتوضَّح بعض الأشياء. يُشير المؤرّخون إلى أنّ الرسول بولس كان متزوّجاً، وكانت زوجته قد توفّيَت، حيث أنّ الرجل غير المتزوّج ما كان ليكتب أشياء كثيرة عن العائلة والزواج. وكذلك من المعروف أنّ الرسول بولس (شاول) كان لديه صوت في السنهدريم، وما كان يحقُّ لأيِّ شخصٍ غير متزوّج أن يُصَوِّت في هذا المُجمَّع.

إنّ المنابع التاريخية تُثبت بأنَّ زوجة الرسول بولس كانت قد توفّيت. ويكتب هنا: «ولكن أقول لغير المتزوّجين وللأرامل أنّه حسنٌ لهم إذا لبثوا كما أنا»، وهؤلاء هم الأشخاص الذين لا أزواج لهم.

«ولكن إن لم يضبطوا أنفسَهم، فليتزوّجوا. لأنّ التزوُّج أصلح منَ التّحرُّقِ. وأمّا المتزوّجون، فأوصيهم، لا أنا بلِ الربُّ، أن لا تُفارقَ المرأة رَجُلَها، وإن فارقَتْه، فلتلبث غير متزوّجةٍ» ١ كورنثوس ٧: ٩-١١.

يُبيِّن هذ الأصحاح بأنَّ الرسول بولس قد ردّ على سؤالٍ معيّن، أو على الأصح، على رسالةٍ موجّهةٍ له.

الاختيـــار

«وقال الربّ الإله: ليس جيّداً أن يكون آدم وحده، فأصنع له مُعيناً نظيرهُ. وجبل الربُ الإله من الأرض كلّ حيواناتِ البرّيةِ وكل طُيورِ السماءِ، ثمّ أحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا بهِ آدمُ ذاتَ نفس حيّةٍ فهو اسمها. فدعا آدم بأسماءٍ جميع البهائمِ وطيور السماءِ وجميعَ حيوانات البرّية. وأمّا لنفسهِ فلم يجد مُعيناً نظيرهُ. فأوقع الربّ الإله سُباتاً علىَ آدم فنامَ، فأخذَ واحدةً من أضلاعهِ وملأ مكانها لحما. وبنى الربّ الإله الضلعَ التي أخذها مِن آدم امرأةً وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظم مِن عظامي ولحمُ مِن لحمي. هذهِ تدعى امرأةً لأنّها من امرءٍ أُخِذَت» تكوين٢: ١٨-٢٣.

نُلاحظ أنّ آدم هو الذي قام بالاختيار، ولم يُرغمه أحد على ذلك. خلق الله حوّاء وجاء بها إلى آدم، وعندما فتح آدم عينيه ورآها، أُغرِمَ بها وقال: «هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي، هذه تُدعى امرأة» تكوين٢: ٢٣، ورغب في الزواج من حوّاء. إنّ الله لا يُجبر أبداً، وأنا أتعجّب كثيراً عندما أسمع اليوم بعض الأشخاص الذين يقولون: «أنا لم أحبّها كثيراً، لكنّ الله أراد ذلك لنا». هذا غير ممكن. عندما قاما آدم

وحوّاء بعصيان وصيّة الله، أتعلمون ما الذي قاله آدم لله: «إنّ المرأة الّتي جَعَلْتَها معي، هي أعطتني من الشجرة فأكَلْت» تكوين٣: ١٢. لقد كان ذلك اتّهاماً باطلاً موجّهاً إلى الله، وقد كان بإمكانه الردّ على ذلك اللّوم بالقول: «تلك هي المرأة التي اختَرْتَها أنت». هل تعرفون لِمَ يترك الناس اليوم مسألة الاختيار لله؟ حتّى إذا ما واجهتهم في المستقبل أمور لا تطيب لهم، حينها يقولون: «يا الله، هذه هي المرأة التي أنت أعطيتني إيّاها»، فهم لا يريدون أن يتحمَّلوا مسؤولية اختيارهم منذ البدء ويقولوا: «يا الله هذه هي المرأة الّتي اخترْتُها أنا، وسأكون مسؤولاً عنها»، بل هم يلقون بكلّ الأعباء على عاتق الله دائماً: «يا الله، هذه هي المرأة التي أنت أعطيتني إيّاها، وأنت تَدبَّر أمورها». تذكّر دائماً، إنّ الله لا يُلزِمُ أيّ أحدٍ أبداً بالزواج من شخص ما، وإنّما يقوم بمباركة الزواج، ولا يقول أبداً: «أنتَ يجب أن تتزوّج بتلك، وأنتِ تزوّجي بذاك». لقد اختار آدم بنفسه، ونحن نرى في الكتاب المقدّس كيف أنّ إسحق وآخرين اختاروا بأنفسهم أيضاً. الكثير من الناس يسألونا: «يسألوننا ما النظام في كنيستكم؟ كيف يقوم الناس بالاختيار والزواج؟». أجيبهم: «إنّ الاختيار في كنيستنا يتمّ بشكلٍ حر، فالناس يتقابلون، فيتحابّون، فيختارون ويتزوّجون».

هناك بعض الكنائس المتطرِّفة التي يتمّ الزوّاج فيها بشكل مختلف. يتقدّم أحد كبار الكنيسة برفقة إحدى الفتيات، ويقول للشاب: «ها هي الفتاة الّتي يجب أن تتزوّج بها». وبعد ذلك ينبغي عليهما ألاّ يلتقيا. ثمّ يذهب رؤساء الكنيسة لدى أولياء أمر الفتاة والشاب، ويرتّبون أمور الزوّاج ويزوّجونهما. فآراء المتزوّجين غير مهمّة. أعتقد أنّ هذا أمر خاطىء للغاية، حيث أن الحرّية والقرار الشخصيّ معدومان، وتلك ليست مشيئة الله، لأنّ الله منح الإنسان هبة عظيمة وهي حقّ الاختيار. أنا لا

أعرف مدى السعادة التي يتمتّع بها أولئك الذين تدخّل الآخرون في أمور اختيارهم وزواجهم، فموضوع سعادتهم أمر مشكوك فيه. على كلّ فرد أن يقوم باختيار شريك حياته بنفسه، حتّى لا يقول فيما بعد: «يا رب، هذه هي المرأة الّتي أنت أعطيتني إيّاها».

أودُّ أن أروي لكم قصّة تذكّرتُها. قبل سنوات تعرّفتُ على شاب أخبرني أنّه قال في صلاته: «يا ربّ أنا سأدخل إلى بيت الخدمة، وأوّل فتاة تصادفني وتأخذ من يدي معطفي ستكون زوجتي» وكانت الخدمة في تلك الأيام مقتصرة على البيوت فقط، وعندما دخل ذاك الشاب البيت، تناولت إحدى الأخوات المسنّات معطفه من يده وعلّقته. كثير من المؤمنين في العالم يقومون بالتقاط إباحات شيطانية، وهم في مُنتهى الاقتناع بأنّهم قد تسلّموها من الله، ومن ثم يردّدون قائلين: «هذه هي مشيئة الله في حياتي، وسيعاقبني إن لم أحققها».

هناك حالات أخرى، حيث يبوح الشاب بحبّه لفتاة ما، لكنّ الفتاة ترفضه، ومن ثم تعلن للجميع بأنّ ذلك الشاب مُغرم بها، في الوقت الذي كان يجب أن يموت هذا السر بين الاثنين إلى الأبد وينسى أحدهما الآخر. في الكثير من الأحيان يسألونني: «هل يمكن للفتاة أن تبوح بحبّها للشاب أوّلاً؟». بحسب الكتاب المقدّس، يمكن ذلك..

تعالوا نتطرّق إلى هذا الموضوع من جهة المنطق أوّلاً، ومن ثمّ نرى ما يقوله الكتاب المقدس حول ذلك. بحسب علم النفس يختلف البنيان النفسي للذكور عن الإناث. فعلى سبيل المثال يمكن للشاب أن يحب ويعرض حبّه على الجنس الآخر، وإذا ما تعرَّض للرفض فإنّه من

المحتمل أن ينسى الأمر خلال بضعة أيّام. لكن هذا الأمر مختلف تماماً بالنسبة للإناث، حيث يحيا داخل الإناث وفاءٌ وإخلاصٌ عظيمَين.

تعالوا الآن نتصوّر فتاةً تحبّ شاباً ما، وتنتظر موعد قبول هذا الشّاب إليها ليعرض عليها الزواج، فتنتظر شهراً، فاثنين، ثمّ سنة، فسنتين، لكن هذا الشّاب يذهب ويتزوّج بفتاة أخرى، فماذا سيحدث مع تلك الفتاة؟ أنا أعرف حالاتٍ كثيرة من هذا النوع، حيث أُصِبنَ الفتيات بخيبة أمل عظيمة مع اضطرابٍ نفسيٍّ حاد. افهمي جيّداً، إذا كنتِ مُغرمة بشخص ما، وتحتفظين بحبّك داخل قلبك لمدّة سنة، فهذا يعني أنّك تقومين بتعميق حبك لمدة سنة، وكم سيصعب عليك النسيان بعد ذلك. طبعاً من المستحسن أن يتقدم الشاب للفتاة أوّلاً، لكن إذا لم يفعل الشاب ذلك فمن الملائم أن تتقدم الفتاة وتقول: «أتمنّى أن نتقابل». ولكن هذا لا يعني أنّه على الشاب أن يذهب ويُطلِع الجميع على ماقالته له الفتاة، فهذا سرٌّ بين الاثنين. طبعاً من الممكن لكِ أن ترفضي فكرتي، ولكن هذه هي الحقيقة.

لنعالج الموضوع الآن حسب الكتاب المقدّس. نقرأ في العهد القديم أنّ راعوث جدة النبي داود قد قامت بعرض حبها على رجل اسمه بوعز، وقد كان بوعز غير مهتم براعوث على الإطلاق، حيث كان اهتمامه مُنصَبّاً على عمله في الحقل. لقد كان زوج راعوث متوفّياً، فنصَحَتها حماتها بأن تذهب إلى بوعز وتكون زوجةً له، ففعلت هي كذلك. فهي من أقدمت على الخطوة الأولى، ومن بعد ذلك أُغرِمَ بوعز بها واتّخذها زوجةً له، وجاء داود النبي من نسلها.

لا يجب أن يكون رفض الشاب للشابة أو العكس، سبباً في الابتعاد عن الله والكنيسة. حدّثني أحد الأخوة يوماً قائلاً: «تقدّمتْ إحدى الفتيات

نحو شاب يُعجِبُها واعترفت بحبّها له، فرفضها. وأخذت الفتاة بعد ذلك تشعر بالاحتقار الشديد تجاه نفسها. فماذا تقول عن ذلك؟»، فأجبته: «خيرٌ لتلك الفتاة أن تتألّم لعدّة أيام، بدلاً من أن تُصاب باضطراب نفسي مزمن». لا تظنّوا أنّ الإناث هنّ الوحيدات من يحتقرنَ أنفسهن في حالات كهذه، فهذا الأمر يُلاحَظ لدى الذكور أيضاً. لكنّما الأمر وبكل بساطة هو أنّ كلمة "لا" هي أيضاً من أجل الإنسان، وعليه فهمها. طبعاً يمكننا القول أنّه يوم اختار آدم حواء، كانت حواء واقفة أمامه بصمت، لكن لا يجب أن ننسى الفترة الزمنية التي مرّت على ذلك الحدث، وكم مضى عليه من تغيّر في المجتمع والتقاليد. نحن نعيش اليوم في القرن الحادي والعشرين، والعهد الجديد يعلِّمنا أنّه لا رجل ولا امرأة، الكل واحد في المسيح. الزمن تغيَّر، وأصبح شأن المرأة اليوم ليس كما كان قبل آلاف السنين. ففي عهد النعمة حصلت المرأة على امتيازات عظيمة كالرجل، فإلى وقت مجيء الرب يسوع كانت المرأة لا تساوي شيئاً، لكنّ الرب يسوع رفع من شأن المرأة، لذا أصبح الأمر مختلفاً. وحتّى أننا نقرأ في العهد القديم بأنّ إبراهيم وَلَدَ إسحق وليست سارة. والرجل عندما يتزوّج ينبغي عليه أن يفهم أنّه لم يتولَّ منصباً جديداً لتوّه، وإنّما ما قام به هو أنّه قد ارتبط مع رفيق، رفيق حياة دائم.

كيــف نقوم بالاختيــــار؟

«أستحلفكنَّ يا بنات أورشليم ألاَّ توقظنَ ولا تُنبِّهنَ الحبيب حتّى يشاء» نشيد الأنشاد ٨: ٤

ماذا يُقصد بالقول: "لا توقظن" ؟ يعني أنّه ليس لأحد الحق بالتدخّل في حياة الآخرين بالقول: «هذه الفتاة تلائمك» أو «إن هذا الشاب هو فعلاً من أجلكِ». كثيراً ما يحبّ الكبار التدخّل في مثل هذه الأمور لكونهم

مقتنعين أنّهم ذوو خبرة وحكمة في الحياة لكبر سنهم، فيُنبِّهون الشّاب قائلين: «ألا ترى هذه الفتاة؟ انظر كم هي فاتنة!» وبهذه الكلمات يُلقون بذوراً غريبة في قلب الشاب هي ليست وليدة مشاعره. لكنّ كلمة الرب تقول: «لاتوقظوا» أي لا توقظ المشاعر ما لم تستيقظ هي تلقائياً في القلب. لذا ليس لأحد الحقّ بالتدخل في مواضيع الزواج وإيقاظ أي نوع من المشاعر في قلب الآخر. وهذا الأمر معمَّم حتّى على الأقارب، فهم غير مخوّلين على إرغام أي طرف على قبول الآخر. ولكن بكل أسف، هذه الظاهرة منتشرة جداً في مجتمعاتنا، حيث يأتي أحد أقارب الفتاة ويقول لها: «اسمعي، أنا أعرف شاباً ما، يناسبك كثيراً». الكلمة تقول: «لا توقِظوا، ما لم يتفضّل هو بالاستيقاظ». وعندما يستيقظ، هل تعلم ماذا تقول كلمة الله في المقطع الأخير من هذه الآية؟

«من هذه الصاعدة من البرية متَّكئة على حبيبها؟ تحت شجرة التفاح حيث حبلت بكِ أُمُّكِ، وحيث تمضَّخت بكِ وأنجبتكِ، أيقظْتُ فيكِ أشواقكِ» نشيد الأنشاد ٨: ٥.

هناك أيضاً اختيارات خاطئة وترشيحات فاشلة، ولكي نتحاشاها يجب أن ننتبه لنقاط معيّنة.

ما هي الأمور التي يجب أن نحذر منها عند القيام بالاختيار؟

١- لاتتزوّج بفتاة غير مسيحية. (لا تتزوّجي بشاب غير مسيحي).

يجب أن نوضِّح أوّلاً بأنّ الكنيسة لا تُمانع من أن يتزوّج المرء بشخص غير مسيحي، وإنما تُحذِّر. حيث تقول كلمة الله: «لا تدخلوا مع غير المؤمنين تحت نير واحد. فأي ارتباط بين البرِّ والإثم؟ وأية شركةٍ بين

النور والظلام؟ وأي تحالف للمسيح مع إبليس؟ وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟ وأي وِفاقٍ لهيكل الله مع الأصنام؟ فإننا نحن هيكل الله الحي، وَفْقاً لما قال الله: سأسكن في وسطهم، وأسير بينهم، وأكون إلهَهُم وهم يكونون شعباً لي... لذلك اُخرجوا من وسطهم، وكونوا منفصلين، يقول الرب، ولا تلمسوا ما هو نجس» ٢ كورنثوس ٦ :١٤-١٧

كلمة الله تقول بأنه لا شركة للنور مع الظلمة، وهيكل الله لا علاقة له بهيكل الأوثان.

تعالوا لنقوم بدراسة بسيطة مع بعضنا البعض حول موضوع ارتباط شابة مسيحية بشاب غير مسيحي. الفتاة المسيحية ممتلئة بكلمة الله، وهي عضوة في كنيسة الرب الحيّة، ولها أصدقاء وصديقات هناك، وهي تعرف التمييز بين الخير والشر، كما تعرف معنى أن يكون لها زوج، وأن تكون هي زوجة. وفجأة يأتي شاب غير مسيحي ويطلبها للزواج، فتُعجَب به وتحبه، وعادةً ما يكون الحبّ أعمى. فعندما تغوص في الغرام، يتعذّر عليها ملاحظة أمور كثيرة تجري حولها، وتبدأ بالتّفكير بأنّها ستتزوّج بذلك الشاب ومن ثم تُحضِره إلى الكنيسة والمسيح، مبرّرةً فكرتها تلك بأنّ حبيبها يؤمن بوجود إله سماوي. ولكن أليس من الأصح أن يواظب ذلك الشاب على الكنيسة أوّلاً، وبعدها يتزوجا؟ إن قلوب الكثيرين الذين لم يهبوا حياتهم للمسيح بعد، مليئة بروح الخديعة والزنى، فالقلب الخالي من الله، هو ممتلئ بأي شيء آخر، حيث يمكن لذلك الشاب أن يخون زوجته، كما يمكن له أن يثمل، أو يُخصِّص معظم وقته لأصدقائه، تاركاً مسؤولية العائلة وأعباءها على عاتق زوجته. وبعد مرور شهر أو شهرين على زواجهما، تنفتح عينا الفتاة المؤمنة، وتبدأ بالانتباه إلى مساوئ زوجها العديدة، وبالشّعور بأنّها مجرّد أداة

لـتـحضير الـطـعـام وتـنـظـيـف المنزل، وحـتـى وجـهـه لا تـراه، فـهـو يمتلك سيارة، ولكن ليس بـاستطاعتها مرافقته فيها، وشيئاً فشيئاً تتحوّل حياتها إلى جحيم لا يُطاق. هي لم تسمع نصائح الإخوة المؤمنين حول الموضوع الّذي أقدمت عليه بجرأة كبيرة، وتجاهلت كلمة الربّ الرنّانة القائلة: «أيّة شركة للنّور مع الظلمة؟». إنَّ هذا الظرف يواجه المؤمنين والمؤمنات على حدّ سواء. ومع الأسف الشّديد هناك الكثيرين الذين يعتقدون أنّه بعد الزواج ستختفي جميع المشاكل والعراقيل من حياتهم، لكنّهم لا يفهمون بأنّهم سيفقدون إشراقتهم. لذا لو أحببتَ شابة غير مؤمنة بالمسيح، أو أنتِ أحببتِ شاباً غير مؤمن بالمسيح، فالكنيسة لن تمانع، ولكنها تُحذِّركم وتوضِّح إلى ما سيؤول إليه حالكم بعد الزواج. طبعاً يمكننا القول بأنّه هناك احتمال في أن يأتي الجانب المسيحي بالجانب الآخر غير المسيحي إلى الكنيسة، ولكن أقول لكم وبكلّ صراحة أنه حتّى اليوم، خمسة وتسعون بالمئة من هذه الحالات كان فيها الجانب المسيحي هو من ابتعد عن الكنيسة، حيث أنّ أغلب الرجال بعد الزوّاج لم يوافقوا بأن تواصل زوجاتهم المؤمنات التردّد على خدمات الكنيسة كما كنَّ يفعلن في السّابق، وبإمكانك رؤية تلك النساء يأتين خلسةً إلى الكنيسة ويجلسن على آخِرِ المقاعد ويبدأن بالبكاء. إذاً الشخص الذي ليس له المسيح في قلبه هو ليس من نصيب المؤمنين والمؤمنات. ومن أسوأ الأمور في هذا الموضوع، هو أنه عندما تواجهك المصاعب، لن تجد بجانبك من يتّحد معك ويقوّيك، وتقول الكلمة بأنه من السيّئ لمن يسقط إذا ما من أحد يرفعه بكلمة الله. وتقول الكلمة أيضاً بأن اثنين أفضل من واحد، لأنّه إذا ما ضعف أحدهم فالثّاني يرفعه ويقوّيه، لكنّ الويل لمن لا يجد في أوقات ضعفه من يقوّيه ويرفعه من سقطته.

في أحد الأيام صادفتُ مشهداً غريباً. كان الزوج يمشي أمام امرأته، وهي تتبعه على بعد خمسة أمتار منه، وفجأة زلَّت قدمها وسقطت أرضاً، فالتفت زوجها وصرخ كهمجي من على بُعد: «لقد جعلتينا فضيحةً أمام الجميع، هيا انهضي بسرعة». هل تتصوّرون هذا؟ لقد لاحظ الزوج أنّ سقوط امرأته أمرٌ يُثير الضحك لدى الناس، لكنّه لم يلاحظ أن سيره أمام زوجته على بعد خمسة أمتار كان أمراً أكثر غرابة وموقفاً يثير السخرية، ليس للحظة فقط، وإنما على طول مسافة الطريق. وهناك حادث آخر: كانت الزوجة ترتدي حذاءً مهترئاً، وعندما لاحظ زوجها ذلك بدأ بالصراخ: «ما هذا الذي ترتديه؟ لقد جعلتينا أضحوكةً للمارّة». فتجيبه زوجته بأنها لا تمتلك سواه، ولكن زوجها يستمر قائلاً: «ارجعي، ارجعي إلى المنزل» . لقد كان الزوج يمتلك سيارة حديثة، ولو شاء لاستطاع شراء أحذية جديدة لزوجته. أنا أنصح الرجال عادةً: «أنتم مُلزَمون بالاعتناء بزوجاتكم وعائلاتكم»، وبشكل عام لو رغب الزوج بأمر ما وقرّر بلوغه، فهو يتمكن من ذلك. وعندما يتعلّق الأمر بغسّالة الملابس، كثير من الأزواج يتذمَّرون قائلين: «ليس لديّ مال»، ولكن عند توافر المال لديهم يقومون بشراء سيارة مستعملة وعتيقة، بينما كان من الأفضل شراء آلة غسيل حديثة بنفس المال، بدلاً من شراء سيارة قديمة تتطلّب مصاريفاً يومية من أجل إصلاحها. كلمة الرب تقول: «الويل لمن يسقط، إذا ما وُجِدَ من يرفعه»، فتصوّري قساوة أن يكون لك زوجٌ لا يرفعكِ ولا يكون إلى جانبكِ في أيامك العصيبة!

٢–لا تتسرَّع بتكوين عائلة مع فتاة غير ناضجة أو مراهقة. (لا تتسرَّعي بتكوين عائلة مع فتى غير ناضج أو مراهق).

نحن لا نفرض على أحد، بل نعرض. لو كانت الفتاة الّتي اخترتَها أو

الشّاب الّذي اخترتِه في سن السابعة عشرة، فلا تُسرع أو تُسرعي في الزواج به أو بها. أعطها فرصة لتكبر قليلاً وتنضج أكثر، فالمشكلة أنّ الكثيرين في سن المراهقة يقعون عادةً في الحبّ والغرام المبكِّر. وتشير معظم الإحصائيات بأنّ الزواجات التي يكون فيها الطرفان فوق سن العشرين، تكون نسبة الانفصال فيها ضئيلة، وتنخفض تلك النسبة بشكل ملحوظ عندما يتم الزواج بعد سن الخامسة والعشرين. أما أعظم نسبة للانفصال فتُلاحَظ عند الذكور الذين يتزوجون في سن العشرين إلى الاثنين وعشرين عاماً، والإناث اللواتي يتزوّجنَ في سن السابعة عشرة إلى التاسعة عشرة. هناك مجموعة مِن الناس الذين يُسرِّعون في تزويج أولادهم ابتداءً من سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة. وفي الماضي كانت الزواجات تتمّ في أعمار أقل من تلك بكثير. يجب على المرء أن يفهم بأنّه هناك عالم آخر بعد الزواج يختلف عن جو الزفاف وملابس العرس. فإذا كانت الفتاة ترى ثوب العرس فقط، فاعلموا بأنه سيصعب عليها أن تُصبح أُمّاً. لقد تعرَّفتُ في يوم من الأيّام على فتاة شابة، وجميلة، كانت تسكن في السويد، وفي أحد الأيام سألَتها إحدى صديقاتها قائلة: «لماذا لم تتزوجي حتى الآن؟ هل من المعقول أنّه لم يتقدَّم أحد بعد لخطبتكِ؟» فأجابت الفتاة: «المُتَقَدِّمون كُثُر، إنما ببساطة أنا لستُ مستعدّة للزواج بعد»، وهذا الجواب جعلني أُفكِّر في نفسي: ”هي فتاة تجاوزت سن الثّالثة والعشرين، فلماذا تقول أنها ليست مستعدة بعد؟“. فسألتها صديقتها: «ولماذا لستِ مستعدة؟»، فقالت: «أنا مازلت أرغب في قضاء وقت أطول مع صديقاتي وأن حرّة، فأنا أُدركُ أنني لو تزوّجت لوجب عليَّ أن أهب كل وقتي لأسرتي الجديدة، وهكذا لن يكون لديّ الحق بالتصرف كما أتصرف الآن».

أعتقد أنّ هذه الفتاة قد أجابت بحكمة. وبعد فترة سمعت أنّها تزوجت،

وأنّ زواجها ناجح جداً حتى يومنا هذا، وأظنّ أنّها لن تنفصل يوماً عن زوجها.

هناك فتيات ناضجات، لكنهنّ مازلن ينَمْنَ وهن حاضنات دببة أو دمى صغيرة، فنصيحتي لأُسَرهنَّ ألاّ يَحرموا بناتهم من طفولتهنّ في الصغر، فهنّ بالرّغم من كبر سنهن لازلن في مرحلة الطفولة. فمثلاً هناك أمهات يبحثن لأبنائهن عن فتياتٍ صغيراتٍ غير ناضجات، كي يجعلهنَّ خادمات في منازلهن، حيث يقلنَ: «بما أنها مازالت صغيرة، فلنضمّها إلى صفوفنا»، لكن أولئك الأمهات يجب أن يُدركن بأنّ الخادمة لن تصبح رفيقة جيدة لزوجها وأبنائها أبداً، وزوجة كهذه ستنتظر متى تتخلّص من حماتها لتحتلّ منصبها، لذا فكِّروا أولاً بسِنّ شريكة حياتكم قبل الزواج.

٣–لا تجعل الاكتفاء الجنسي هدفاً من زواجكَ. (لا تجعلي الاكتفاء الجنسي هدفاً من زواجكِ).

أي لا يجب أن يكون الجنس أساساً لزواجكَ، لأنّك ستكفُّ عن ملاحظة ذلك بعد مرور شهر أو شهرين على زواجكَ، وسيصبح الهدف الّذي سعيت جاهداً وراءه بلا معنى. لا تمزج الشّهوة الجنسية بالحبّ أبداً، لأنّ الجنس والحبّ مفهومان معنويان مختلفان كل الاختلاف، حيث أنّ الجنس بحدّ ذاته هو التعبير عن الحب. أما لو كانت لديك شهوة جنسية من دون وجود الحب، فلا يمكن أن ينبع عن تلك الشهوة حباً. الجنس هو شهوة العين والجسد، والجسد إن عاجلاً أو آجلاً سيتعب من كل ذلك ما لم يتوافر الحب النابع من الروح، لذا يجب أن يُؤَسَّس الزوّاج على قِيَم روحية ومعنوية سامية تفوق الجنس.

٤-لا تـتـزوّج بـهدف الـتـخلّص من مشاكلكَ الخاصة. (لا تـتزوّجي بهدف التخلّص من مشاكلكِ الخاصة).

ربما تفكّرين بأنّكِ لو تزوّجتِ، فلن يقولوا عنكِ أخيراً: «ها قد عنّسَت». لاتتزوجي أبداً بهدف الفرار من عائلتكِ أو من مشكلة ما. إذا كنتِ خائفة من ألسنة الناس، فاعلمي أنّه لا مهرب لكِ من ذلك، فهم على حدٍّ سواء سيزعجونك بعد الزواج أيضاً، فيقولون مثلاً: «نرجو أنّ كل شيء على ما يرام، ألم تحبلي بعد؟»، وبعدها تثابرين من أجل إنجاب طفل في أقرب وقت ممكن، وذلك ليس بفضل تشاوركما وقراركما أنتِ وزوجكِ، بل كي لا يقولوا عنك فجأة بأنكِ عاقر. وبعد أن تلدي طفلك سيقوم بالبكاء، وسيقولون: «لماذا طفلكِ يبكي؟ لماذا لا تهتمّين به كما يجب؟»، وهكذا ستفعلين كلّ شيء في حياتكِ انطلاقاً من المبدأ بأن لا يتفوّه أحدهم بأيّ شيء عنكِ.

إذا قالوا لكِ يوماً: «لقد أصبحتِ عانساً، ها قد بقيتِ في المنزل» فقولي لهم: «كلا، تلك هي أعظم كذبة. لستُ أنا من بقيت في المنزل، فأنا حرّة، أنا أذهب إلى الكنيسة، أذهب أينما أريد». هل تعلمون من هنّ العانسات والباقيات في المنزل؟ هنّ اللواتي دخلنَ بعد الزواج إلى البيت، وارتدينَ ملابس المنزل الخاصّة، ومن ثم لم يخرجن من هناك أبداً. عادةً في بلداننا لايهدون العروس بعد الزواج فساتين خاصة بالسهرات، بل يهدونها لباساً منزليّاً ملائماً للتدبير المنزلي. تلك الهدية نبوءة عمّا سيؤول إليه حال المرأة في المستقبل. والكثير من الفتيات يرتدين ذلك اللباس الخاص بالمنزل ويبقينَ في البيت إلى أن تحين فترة حملهنَّ، حيث ينصح الناس أزواجهنّ آنذاك بالقول: «اُخرج مع زوجتكَ للتنزّه قليلاً، خذها إلى الهواء الطلق»، تماماً كما يأخذون الكلاب للتنزّه. تلك

الحقـائـق مـؤلمة جداً، ولـلأسف فـإن الكثيرات يتـآلفن مـع هـذه الحيـاة الجديدة. فهل تتصوّرون؟ يـاللسعادة، يمكن لـها التنزّه عند الحمل فقط، وهذا هو مـا يُدعى بـالتعنيس والبقـاء في المنزل، أمـا أنتِ فلستِ عـانسـاً، وبـإمكانك القول بكل جرأة: «كفى، لا أرغب بـالسمـاع عن ذلك الموضوع بعد الآن. أنـا لست عـانسـاً، أنـا أسعد فتـاة على الإطلاق، وسأتزوّج حينمـا أشاء، حـالمـا يتقدّمون إليّ». إذا لم يتقدّم إليكِ أحد حتى الآن، فلا تتـهرّبي من الواقع، تلك ليست مشكلة، أعلني بجرأة: «أنـا أتزوّج متى أريد. أنـا من تؤسس حيـاتي». إذاً، لا تتزوّجي بهدف التهرُّب من المشكلة، بل تغلّبي على المشكلة.

٥–لا تتزوّج متوقّعاً السعادة التلقائية بعد ذلك. (لا تتزوّجي متوقِّعة السعادة التلقائية بعد ذلك).

قلنا سابقاً أنَّه ليس الزواج الذي يجلب السّعادة، لأنّك أنت من يجب أن يمنح السّعادة لزواجك. أنا متزوج وعليّ أن أقوم على إسعاد زواجي، وكذلك زوجتي وأطفالي سيسهمون في منح زواجنا وعائلتنا السعادة والأُلفة والحب. لكن ما الذي عليك فعله كي تمنح زواجك البهجة والسّرور؟ فأنا مثلاً أُفكِّر بأخذ أسرتي إلى التنزّه، فأُشاركهم الرأي، ومن ثم نذهب ونقضي وقتاً ممتعاً معاً، ونعود سعداء إلى المنزل. وبالمقابل يبدأ أفراد أسرتي بدورهم في البحث عن سُبُل شتّى وتحضير المفاجآت من أجل إسعادي. إنّ الكثيرَ من النّاس يعتقدون أن أهم مقوِّم للسّعادة في الأسرة هو المال، وهذا اعتقاد خاطئ، لأنّه إذا كان الأغنياء يرتادون أماكن ترفيهية مُكلِّفة بهدف الاستمتاع بوقتهم، فإنه هناك أيضاً أماكن ترفيهية مجّانية كالحدائق العامة مثلاً، حيث يمكنك أخذ عائلتك في الشتاء للّعب بالثلج، أو يمكنك أخذهم في الخريف لجمع أوراق الشجر

المتساقطة أو اللعب بينها. لكنّ الكثير من النّاس يفكرون بالراحة والاسترخاء في المنزل بدلاً من الخروج والتنزّه برفقة عائلتهم. أقول لمثل هؤلاء بأنهم قد جَرَّدوا حياتهم من الرومانسية، فمن المهم للمرء أن يُعيد روح الرومانسية إلى جو أسرته. إذاً امنح زواجك السعادة، ولا تنتظر من زواجك أبداً أن يمنحك ذلك.

وتعالوا لنتذكر أيضاً كلام ربنا يسوع المسيح: «كلّ سُلطان قد مُنِح للإنسان». إذاً فالمبادرة لك، لذا بادر باستخدام سُلطانك من أجل إسعاد عائلتك.

٦–لا تتزوّج طمعاً بالثروة أو المنصب. (لا تتزوّجي طمعاً بالثروة أو المنصب).

المال والمنصب لا يمكن أن يكونان أساسين حقيقيّين تُبنى عليهما أسرة متينة وصحيحة. لقد حدّثتني إحدى الأخوات مرةً عن فتاة تزوجت برجل ما من أجل الثروة والغنى، وبعد عدّة أشهر ذهبت إحدى صديقاتها لزيارتها في منزلها الجديد والفخم، فاستقبلتها صاحبتها بفرح، ثم أخذت تُطلعها على جميع غرف البيت وتصاميمه الفريدة وما فيه من أثاث فاخر، ثم بدأت تُريها أشكالاً مختلفة من فساتينها الباهرة، حيث كان لكل فستان حذاءً خاصاً يتناسب معه وحقائب أيضاً، وفي النهاية أخذت تبكي فجأةً بمرارة شديدة وقالت لصديقتها: «أتعلمين؟ مع كل هذا الغنى إلاّ أنّني لم أرتدِ حتى الآن سوى عدداً قليلاً جداً من ملابسي، ولم أجلس إلى جانب زوجي في سيارته الفخمة إلاّ مرّات معدودة، فهو بصحبة أصدقائه طوال النّهار، وأنا واثقة أيضاً بأنّه يخونني مع نساءٍ أخريات، فهو غالباً ما يأتي ثملاً في وقت متأخر من الليل ويُسرع إلى

الفراش للنوم»»، ثمّ قالت: «أنا لا ألقي باللوم على أحد في زواجي هذا، فأنا لم أتزوّج به، بل بممتلكاته. والآن لا أحد يحرمني من كل هذا المُلْك، فأنا أملك الآن ما تزوجتُ من أجله».

تذكّر دائماً، أي أمر تتزوج من أجله ستجده بجانبك طوال عمرك، وأمّا الأشياء الأخرى فلن تنالها. كثيراً ما أسمع من الشبّان بأنّهم يريدون الزواج بفتاة غنيّة حتى تتغيّر حياتهم. نعم، صحيحٌ أنّ حياتهم ستتغير، لكن نحو الأسوأ.

لقد تطرَّق الكاتب الأرمني الكبير «هوفهانّيس تومانيان» أيضاً إلى تلك الظاهرة، حيث كتب في رواية له عن سيرة بنت اسمها مارو، ما يأتي: «...وقالت مارو في نفسها: إنَّ كارو فتىً رائع، فهو يجلب لي كل يوم الحلوى والزبيب والتفاح»، وكان هذا سبب زواجها منه. هي لم تكن تحبه شخصّياً، كما أنها لم تكن تفهم معنى الزواج أصلاً، وأنا أنصحكم ألاّ تتزوّجوا من أجل الحلوى والزبيب والتفاح. يجب أن نمتلك قيم أعلى من الغنى، لذا لا تتزوجوا من أجل المال والمُلك. ولا تتزوجي من أجل المنصب، لأن ذلك المنصب لن ينفعك، بل وإنّه سيُنهِكِكِ. فمثلاً لو كان زوجكِ وزيراً، فعندها سيتّصل بكِ جميع أقاربكِ ويترجّونكِ كي تقنعي زوجكِ على مساعدتهم، وهكذا بعد فترة معيَّنة سيتعب زوجكِ منكِ ومن أقربائكِ. إنّ فكرة الزواج من أجل المنصب تسرّبت إلى الكنيسة أيضاً، حيث أن الكثيرات الآن يحلمن بالزواج من واعظين فقط، وأنا أقول لكنّ: لا تتزوجنَ بواعظ، بل تزوجن بإنسان. فأنتِ لستِ بحاجة لواعظ في البيت، أنتِ بحاجة لزوج صالح. فتخيَّلي لو أنّ واعظاً ما يدخل بيته، فيُسرع إليه طفله والسعادة تملأه، وعندها يقوم الأب بسؤاله عمّا تقوله الرسالة إلى أهل كورنثوس، فهذا سيشبه الضابط الذي يحاول أن يُطبِّق

قوانين الجيش على أفراد أسرته. فالواعظ في البيت يجب أن يكون أباً محباً.

عندما تزوجت زوجتي بي، لم تكن تتزوج من راعٍ للكنيسة، بل كانت غايتها الزواج من رجل صالح، فهي لم تتزوجني بسبب وعظي بالكلمة. واعلمي أنَّه لو كنت تتمنين أن يكون زوجكِ المستقبلي واعظاً، فإنكِ ستحصلين على موعظاتٍ فقط، وليس على زوج. أنا لست ضدّاً لفكرة الزواج من واعظ، بل أنا أتكلم عن الدافع، أي لأيّ دافعٍ تتزوجين. فالإنسان يجب أن يبحث عن شريك حياةٍ صالح وليس عن واعظٍ صالح. إذاً لا تتزوجي من أجل المنصب، وإنما دقّقي في شخصية الإنسان، لأنكِ لا تعلمين مدى مواهبه، ومن سيصبح غداً. نسمع كثيراً من الأهالي في بلداننا من ينصحون أولادهم بالقول: «اسمع، لا تتزوّج مع المال»، ولكن مع ذلك فإن جميع الأهالي يسعون وراء المال عند تزويج أبنائهم وبناتهم. وهناك أيضاً أفلام ترسم بوضوح هذه الظاهرة المادّية المنتشرة، فمرّةً بينما كان الشّاب في الفيلم يستعد للزواج من حبيبته، تجمَّعَ أقارب العروس وسألوه ما إذا كان يمتلك مصدراً مادياً متمِّماً. يمكن القول بأن تلك هي طريقة تفكيرنا اليوم، وعندما تسأل الكبار عن رأيهم في ذلك الموضوع، يُلقون على مسامعك خطاباً حول عدم الزواج من أجل المال، لكن كل واحدٍ منهم يتمنى لو أنّ أبناءه وبناته يختارون طرفا غنيّا يشاركهم الحياة. ربما كان الشاب الذي اخترتِه للزواج غير غنيٍّ اليوم، ولكن ما أدراكِ؟ فربّما أنتِ تتزوجين من وزيرٍ مستقبلي. ربما هو الآن مجرد طالب في الجامعة، ولكنّه يمكن أن يتحول إلى شخصية مهمة عمّا قريب. لذا لا تنظر للشخص مِن ناحية أنّه مَن هو، بل انظر إليه مِن ناحية مَن هو بالنسبة لك، وأيّ مقدرة يمتلك.

٧–لا تتزوّجي برجل يتعهّد لكِ بتغيير حياته بعد الزواج. (لاتتزوّج بامرأة تتعهّد لكَ بتغيير حياتها بعد الزواج).

كنت أعرف شاباً يتعاطى المخدّرات، وفي إحدى الأيّام جاء إليَّ برفقة فتاة من كنيستنا لاستشارتي في موضوع زواجهما (ففي كنيستنا يتّفق الأفراد على الزواج، ومن ثمّ يأتون إلى الراعي ليأخذوا رأيه في الأمر). أنا سألت الفتاة أولاً: «هل تعلمين أنّ هذا الشاب يواصل تعاطي المخدرات، ولم يمتنع عنها بعد»، فأجابت: «نعم، أنا على علمٍ بذلك، فهو قد أخبرني»، وعندها قاطعنا الشاب قائلاً: «أعتقد بأنني سأتخلّى عن المخدِّرات تلقائياً بعد الزواج». في الحقيقة أنا لا أستطيع تصديق ادّعاءات كهذه. وهناك أيضاً من يقول: «حالما نتزوج، أمتنع عن التدخين»، ولكنّه لن يفعل ذلك، وسيقول: «آه، إن همومي قد ازدادت». تذكر، الهموم ستتضاعف بعد الزواج. وهناك أيضاً حالة أخرى، حيث يكون الشاب مدمناً للكحول، ويزعم الجميع، فيما بينهم أهله، أنه لو تزوج سيتغير فوراً ويتخلى عن الشرب. كلاّ، هو لن يفعل ذلك. إذاً لا تتزوجي بشخص يعدكِ بتغيير حياته وميوله السيئة بعد الزواج، لأنّه لو كان لأي شخص نيّة ما بالتخلّي عن طباعه وعاداته السيئة، فهو لن ينتظر الزواج ليقوم بذلك، بل سيتخلّى عن كل ذلك من أجل مخافة الربّ ولمجد اسمه، وليس من أجل الزواج. فالزواج غير قادر على تحرير الناس من قيودهم، وإذا لم يكن بمقدور الإنسان التغلُّب على تلك المشاكل المعدودة قبل الزواج، فبعد الزواج تذكّروا بأن المشاكل ستتضاعف.

يروي لنا الكتاب المقدس أنّ الملك داود قبل أن ينتصر على «جلُيات»، كان راعياً للغنم، وقد كان يقهر الأسود والدببة ويتغلّب عليها. ويمكننا القول أن تلك الوحوش كانت ضعيفة مقارنةً بوحشية «جلُيات». وهكذا،

إذا كان الشخص الذي اخترْتِهِ لم يتعلَّم بعد التغلُّب على الدببة ووحوش الغابة، فلن يستطيع الصمود في وجه «جُليات» ومحاربته، حيث أنّ العائلة هي بمثابة صراع مستمرّ مع «جُليات».

٨–لا تربط حياتك مع فتاة غيورة بشكل مُفرط (لا تربطي حياتكِ مع شابٍّ غيور بشكل مُفرط).

في هذه المسألة بالذات يجب على المرء أن يكون في اتّزان تام. أنا لا أقول بأنّه لا يجوز على الإنسان أن يحمل شيئاً من الغيرة (الزوجية) في نفسه، كلاّ، فالله قد منح الإنسان ذلك الشعور، لكن يجب أن نعلم أن الغيرة فوق الحد المعقول ستُدخِلُ خللاً في بنيان العائلة.

هل تعلمون ما تعنيه كلمة غيرة؟ الغيرة المفرطة إشارة عن غياب الثّقة المتبادلة بين الزوجين. وإذا كان المرء ممتلئاً بالثقة تجاه شريك حياته، فلن يُعاني من الشعور بالغيرة أبداً. ما الذي يجعلك ترتبط بشخص لا يثق بك؟ إن ذلك سيكون سبباً لمجادلاتٍ شتّى في المستقبل. أذكر فتاة من كنيستنا كانت تعاشر أصدقائها جيداً قبل الزواج، لكن بعد زواجها تغيّرت بشكل ملحوظ، حيث بدأتْ تتهرَّب حتى من الحديث مع أي واحد منهم، وقد سألوها مرة: «ما بالكِ تتهربين منّا دائماً؟»، فأجابت: «لأنّه لو رآني زوجي وأنا أتكلّمُ مع شابٍ ما، فسيؤنّبني ويصبّ غضبه عليَّ متّهمني بأنّ من أتكلم معه هو عشيق لي» في حين أن ذلك الشاب يكون قد ألقى مجرّد تحية فقط لكونهما صديقين في الماضي.

إن الغيرة الخارجة عن الحدود الطبيعية قد تتسبب بارتكاب جريمة قتل. وقد حدّثتني إحدى السيدات يوماً قائلة: «كنت أشاهد التلفاز،

وحينها دخل زوجي وبدأ بالصراخ في وجهي قائلاً: لماذا تنظرين إلى مذيع البرامج هكذا بانتباه». هل تعلمون أن هذا نوع من المرض ينبغي الشفاء منه؟ ففي هذه الحالة مثلاً كيف ستستطيع الزوجة أن تشرح لزوجها سبب نظرها إلى ذلك الرجل؟ فعند مشاهدة التلفاز إلى أين يجب أن ينظر المرء بخلاف الشاشة؟

إذاً الغيرة (الزوجية) ضمن الحدود الطبيعية مقبولة ولها جوانبها الحسنة، لكن إذا ما ازدادت عن حدها المعقول لأصبحت تُشكِّل خطراً كبيراً.

٩-ليس هناك ضمان بتكوين عائلة سعيدة مع شخصٍ تعتقدين أنّك لن تبلغي مستواه مهما حصل. (ليس هناك ضمان بتكوين عائلة سعيدة مع فتاةٍ تعتقدُ أنتَ أنّك لن تبلغ مستواها مهما حصل).

وهذا يعني أنَّكِ تنظرين إلى نفسكِ باستصغار شديد لدرجة تجعلكِ تفكرين بأنَّكِ لن تصلي إلى مستوى بطلكِ أبداً. فمثلاً في إحدى الأيام أُعجبت شابة ما بمطرب نجم، وأخذت تنظر إليه وكأنه يعلوها كثيراً، وقد باتت متأكدة أنها لن تصل إليه يوماً. وأنتِ لو صادف أنّكِ التقيتِ يوماً شخصاً يفوقكِ رفعةً ومنصباً وشهرة، وأراد أن يُكوِّنَ أسرةً معكِ، فعندها ارتفعي لتبلغي مستواه أولاً، ومن ثم تزوجي به. نعم، غيّري عالمكِ الداخلي وبعدها تزوجي. حاولوا أن ترتبطوا بشخص تشعرون معه بالحرية، ويمتلك نفس طريقة تفكيركم. لأنه عندما سنتكلم فيما بعد عن العلاقات الداخلية في العائلة، ستلاحظون أهمية المعاشرة بجميع أشكالها. فمن دون المعاشرة يمكن لبنيان العائلة أن يتهدَّم.

كنت أعرف أسرةً، حيث كان الزوج رسَّاماً بارعاً، بينما كانت زوجته بعيدة عن الفن. وقد كانا يعانيان دائماً من مشاكل في التفاهم مع بعضهم البعض، حيث كان يتهيّأ للزوجة دائماً بأنها لن تفهم من الفن شيئاً أبداً. اعلمي جيداً بأنك يجب أن تكوني قوية، ويجب أن ترفعي من مكانتكِ ومن ثم تتزوجي. وإذا كنت تفكرين بأنه من المستحيل لك بلوغ مستوى الشخص الذي تفكرين به والتساوي معه، إذاً لا تتزوجي به، لأنك لن تكوني سعيدة معه.

العائلة

الزواج وكما قلنا منذ البدء له آلية معيَّنة يجب على الإنسان أن يتعرّف عليها ويتعلّمها. يمكن القول بأن الشخص الذي يريد أن يكوِّن عائلة، يشبه من أقبل إلى الجامعة بهدف التعلّم. فالشخص الذي لايمتلك مقدرة على التعلم، أو لا رغبة لديه بالتعلّم، لن يتمكن من تأسيس أسرة سعيدة. وعند الحديث عن العائلة، يعتقد الكثيرون بأنهم يعرفون كل شيء عنها دون أن يتعلَّموا. إن هذا كبرياء، فكلمة الله تقول: «إذا فكر أحد بأنه يعرف شيئاً، إذاً هو لا يعرف شيئاً بعد».

تذكّروا بأن العائلة لاتُبنى من تلقاء نفسها، بل تُبنى بواسطة العلم الذي نحصل عليه من خلال التعلّم، وما يتعلّق بالمنبع الصحيح لذلك العلم، فإن أهم وأصدق منبع هو الكتاب المقّدس. والسبب وراء إعلاني بكلّ جرأة بأنَّ أصدق مصدر هو كلمة الله، يعود إلى أنّ مؤسس العائلة منذ البدء هو الله القدير.

والآن تعالوا لنتفحص ما تقوله كلمة الله عن العائلة.

«لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتّحد بامرأته، ويصيران جسداً واحداً. وكانا آدم وامرأته عريانَيْن، ولم يعترهِما الخجل»(تكوين٢:٢٤-٢٥).

برأيي أن هذه الكلمات هي نبوءة عظيمة عن المستقبل. بعد أن خلق الله الرجل، خلق المرأة، وبعد ذلك تزوَّجا، ثم أعلن الله عن مشيئته حول العائلة.

في سفر التكوين ٢: ٢٤-٢٥ وُجدت هاتان الوصيتان:

١- تَرْك.

٢- اتّحاد.

الرجل يترك ويتّحد. فالواجب يقع على عاتق الرجل، لكن من جهة أخرى كان كلاهما بشراً، وكانت هذه الكلمات تتعلّق بكليهما. يترك الرجل أباه وأمه ويتّحد بامرأته ويكون سعيداً، وهذه الكلمات تخصّ المرأة أيضاً، حيث عليها أن تترك بدورها بعض الأشياء.

في الكثير من الأحيان لا يرغب الرجل بترك بيت أهله والذهاب لتكوين عائلة مستقلة لابتداء حياة جديدة. لماذا لا يتمكن الرجل من ترك بيت أهله؟ هناك سببان:

١-الخوف: «كيف سنتمكن من العيش؟»

٢-أنانية الوالدين: «أيعيشُ ابني على انفراد؟»

بخصوص المسألة الأولى، تقول كلمة الله: «لا تهتمّوا بشأن الغد، فالغد يهتمّ بنفسه، ولكلّ يوم من المتاعب ما يكفيه».

لقد شاهدتُ يوماً فيلماً كان فيه بطل الفيلم قد وُلِد وعاش في قاعات الأُستوديو، ولم يفكِّر يوماً بأن حياته مجرّد عرض فقط، ولم يكن يُخَمِّن بأنه هناك مجموعة من الناس الذين يحفظونه في هذا الوضع، كما لم يستطع أن يتصوّر بأنّ خارج ذلك المكان كان ينتظره عالَماً واسعاً آخر. وعندما أراد أن يخرج من ذلك المكان، صرخ الكل وراءه قائلين: «ستختنق.. أنت لن تتمكن من العيش». وبعدها قبع ذلك الشاب في مكانه في الأستوديو من الخوف الذي تملَّكه، وبقي هناك دون أن يتعرّف على العالم الجميل الكائن خارج نطاق مكانه الدائم.

وبنفس الشكل أنا لا أستطيع فهم الأهالي الذين يُخيفون أولادهم بالقول: «حسناً استقل بحياتك، وسنرى كيف ستعيش وماذا ستأكل وماذا ستفعل، وعندما تتضوَّر جوعاً سترجع إلينا». بركة الوالدين لا تكون على هذا النحو، فتلك الكلمات ليست كلمات بركة أبويّة، بل هي عبارة عن أدوية خاطئة نحقنها في أطفالنا منذ صغرهم. وبهذه الكلمات السلبية يُحبِّطُ الأهل من عزيمة أبنائهم.

أعتقد أنّ نصيحة الوالدين الصحيحة يجب أن تكون على النحو الآتي: «ستتقدّم إلى الأمام، وستجتاز جميع العقبات، فأنت إنسان ناجح». قُل لابنكَ: «أنا قد نجحتُ في القيام ذلك، وستقوم أنت بذلك أفضل منّي»، فبركة الوالدين يجب أن تتضمّن فيها عبارات إيجابية باعثة على الأمل. وفي الكثير من الأحيان لا ينجح الأولاد في مسألةٍ ما في حياتهم، لأنّ أهاليهم لم يباركوهم. إنّ بركة الوالدين مسألة مهمّة بالنسبة لله.

يعمل الناس على تشكيل عائلة شاملة واحدة مع أبنائهم المتزوجين، لكن الله يريد من رب كل أسرة أن يحكم في أسرته بنفسه.

إنّ العائلة المتينة تُبنى على الأُسس الإلهية وعلى المحبة والمعاشرة. وبشكل عام، تتضمّن الحياة الزوجية فيها ثلاثة أنماط من المعاشرة. وإذا غابت إحدى الأنماط الثلاثة، تعمّ الفوضى في العائلة، وحينها ستبدأ المجادلات تلقائياً ولو غابت أسباب الخلاف في المنزل. وليس المال دائماً سبب الجدال، فهناك أُناس لا يعانون من مشاكل مادّية، لكنك تراهم ليلاً ونهاراً في جدالٍ مستمر.

أنماط المعاشرة الثلاثة

١-المعاشرة الجسدية والعلاقة الجنسية:

عند غياب المعاشرة الجسدية، تبدأ الخلافات بالتصاعد التدريجي في العائلة دون أن يفهم الزوجين سبب الجدال.

عندما خلق الله الإنسان أوصاه قائلاً: «أثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض وأَخضِعوها»، كما كتب الرسول بولس: «ليسُدَّ الأزواج احتياجات بعضهم البعض». نرى أنّ الكتاب المقدس يُشير إلى العلاقة الجنسية بين الأزواج. ماذا تعتقدون؟ لماذا منحت كلمة الله تلك الأهمية للعلاقة الجنسية بين الأزواج، حتى أن الرسول بولس يقول أن ذلك دَين يجب أن يسدّده أحدهما للآخر؟ إن الله يعلم سرّ خليقته وجميع احتياجاتها، وهذا هو السبب الكامن وراء تلك الوصية. فالأزواج الذين لا يعاشرون بعضهم جسدياً، أي لا تجمعهم علاقة جنسية منتظمة، تسود فيما بينهم خلافات ومجادلات لا نهائية.

تعالوا لنتخيّل منزلاً مؤلّفاً من غرفتين، ويعيش فيه ثلاثة أبناء مع

زوجاتهم، وعلى الرغم من توافر الشروط المنزلية بحدها الأدنى كتحويل الشُرفة إلى غرفة نوم، فإنه على حدّ سواء ستبقى تلك المسألة بلا حل، فهم جميعاً مُحرَّمون من المعاشرة الحرة. إنّ تلك الأُسر الثلاث مهددة بالانهيار.

٢– المعاشرة النفسية:

تلعب المعاشرة النفسية دوراً بالغ الأهمية في حياة الأزواج، وحتى أكثر من المعاشرة الجسدية. فالمعاشرة النفسية هي الحديث المتبادل بين الزوجين حول المواضيعِ المُحبَّبة والمشوِّقة. وذلك يعني أنه عندما يعود الزوج من العمل مرهقاً، ليس عليه أن يتمدّد أمام التلفاز ويمسك بيده الجريدة، ولا على الزوجة أن تعطي لمسلسلاتها التلفزيونية أهمية أكبر من الحوار مع زوجها. وهذا النمط الهام من المعاشرة لن يتحقق ما لم يكن للزوج والزوجة الحرية والاستقلال التام ضمن منزلٍ خاص.

٣– المعاشرة الروحية:

وهي من أهم أنماط المعاشرة في العائلة، فالصلاة المشتركة بين الزوجين تتسم بأهمية بالغة، وتشتمل فيها الصلاة من أجل بعضهما البعض، والصلاة من أجل الأطفال، والصلاة من أجل قهر جميع المشاكل التي تواجه العائلة.

إنّ الصلاة المشترَكة في العائلة هي القوة الوحيدة في العالم القادرة على ربط أفراد الأسرة وتوحيدهم بشكلٍ متين، فالبِرُّ والفرح والسلام القائمون في الروح القدس يتدفَّقون إلى العائلة من خلال الصلاة

المشتركة فقط. وغياب الصلاة في العائلة يسبب فوضى عظيمة. كما ويستحيل تطبيق هذا النمط من المعاشرة أيضاً في حال العيش ضمن عائلة شاملة.

لقد أصبح من الواضح الآن أن الجنس ضروري للجسد، والاتحاد ضروري للنفس، والصلاة ضرورية للروح.

في حال اكتمال أنماط المعاشرة الثلاثة في العائلة، حينها لا تتحوّل الظروف المعيشية إلى أسباب للخلاف، بل وخلافاً لذلك يجتمع أفراد العائلة حول قطعة خبز بفرح وامتنان. فهم لايعيشون الآن من أجل الأكل، بل يأكلون من أجل العيش، فتتّخذ الحياة معنىً آخر. وهكذا لو عاش الزوجان معاً على انفراد، وحرصا على تطبيق أنماط المعاشرة الثلاثة في حياتهم، فإن نِعَم الله وبركاته ستفيض عليهما.

عندما يتقدَّم بعض الأزواج في العمر نلاحظ أن المشاكل تتزايد تدريجياً في حياتهم، ويفقدون الاحتكاك المتبادل معاً. فما هو السبب الحقيقي وراء ذلك؟

معظم الأهالي، بعد أن يُزوِّجوا أولادهم، يلتفتون نحوهم ويهتمّون بأمورهم فقط. فهم يُعلِّمونهم كيف يعيشوا، وكيف يتصرّفوا لتجنّب الأخطاء. طبعاً الاهتمام بالأولاد والقيام على نصحهم أمر ضروري، ولكن لا ينبغي أن يكون ذلك على حساب الحياة الزوجية للأهل، وخاصة أن أولادهم أنفسهم لا يرغبون بتدخّل الآخرين، وحتى أهلهم، في أمورهم العائلية اليومية.

يمكن القول بأنه في ظروف كهذه تنهار العائلتان معاً. ولا تتوقعوا أبداً أنه سيخرج في يوم من الأيام فرد ذو أهمية في المجتمع من وسط أجواء عائلية مضطربة، أي من بيتٍ تجتمع تحت سقفه ثلاث أُسَر بالإضافة إلى الجد والجدة. في عائلات كهذه يكون الأفراد منغلقين على أنفسهم وخُملاء في الحياة العملية.

تعالوا نناقش موضوع أسرة لديها ثلاثة أبناء في عمر الزواج، ويجمعهم منزل مؤلَّف من غرفتين. يبدأ الوالدان بالتخطيط لتزويج أبنائهما الثلاثة في نفس المنزل. إنّ مخافة الوالدين من فقدان أحد أبنائهما من جانبهما، عظيمة لدرجة تجعلهما لا يلاحظان ضيق المكان، ويقولان: «لا بأس، سيتلاءمون».

ربما لاحظتم أنّ أمّ الصبي قد تكون غيورة جداً. من المحتمل أنك لا تتفقين معي في الرأي، ولكن الحياة تُثبِتُ ذلك. تعالوا نُكمل الموضوع، يتزوج الابن الأكبر، ومشيئة الله في حياتهما أن يستقلاّ هو وزوجته ويؤسّسا عائلة جديدة، ولكنهما للأسف يبقيان في منزل الأهل، ويحاولان بناء أسرة شاملة كبيرة. وطبعاً لن تتهيأ الفرصة للابن ببناء وقيادة تلك العائلة الشاملة (مع العلم أن الله قد منح البركة وسلطان البناء للرجل) حيث ستقوم والدة الابن المتزوج بتحمّل مسؤولية ذلك الموضوع برمّته. ومن المؤكد أن أسرةً كهذه ستفتقر للمعاشرة الصحيحة والمحبة الحقيقية، كما لن يتعلّم أفرادها خدمة بعضهم البعض، فالمبادئ والقوانين في العائلة الشاملة مختلفة تماماً.

في بادئ الأمر تقوم الأم بعمل الغسيل كما كانت تفعل في السابق، وسيكون من نصيب الكنّة تنظيف المنزل وتحضير الطعام، ويذهب الابن

كل يوم كعادته للعمل. وبعد مرور وقت قصير تترتّب الأمور بشكل تجعل الابن يتحاشى من الرجوع إلى المنزل باكراً. هل تعرفون السبب؟ إن تواجد امرأتين في المطبخ هو كثير، بل وكثير جداً. لقد دقّقتُ كثيراً في هذا الموضوع واقتنعتُ بأن المشكلة بين الكنّة وحماتها لاتكمن في مسألة نشر الغسيل مثلاً، بل المشكلة الحقيقية هي: من منهما ستقوم بإخضاع الأخرى لها؟ يمكن لطريقة تحضير الطعام أيضاً أن تصبح سبباً للجدال. فمثلاً تقترح الكنة طريقةَ طبخٍ لذيذة لأكلة ما، لكنّ حماتها تُعارِضها، على الرغم من اقتناعها بصحّة تلك الطريقة، حيث أنها تريد لجميع الأمور أن تتحقّق بحسب كلامها. يمتلك الإنسان ضمن عقله الباطن جهازاً للدفاع عن النفس، وأثناء تلك المجادلات يبدأ ذلك الجهاز بالعمل، وعندها تتحوّل أتفه الأمور إلى أسباب كبرى للخصام. ليس بإمكان أحد أن يُجبر المرأة على الطاعة والخضوع مالم تُقرِّر ذلك بنفسها. فالكنّة تريد طاعة زوجها فقط، بينما تريد الحماة لكنّتها بأن تخضع للعائلة بشكل عام.

وعندما يعود الزوج إلى المنزل في المساء، تُسرع إليه أمه أولاً وتقول: «اذهب وأدِّب زوجتك قليلاً، ولكن لا تقل لها أنني من قلت لك ذلك». وعندما يدخل إلى غرفته وهو يفكر كيف يبدأ نقاشه مع زوجته، تُفاجئهُ زوجته قائلة: «أُمّك تضغط عليَّ كثيراً، افعل شيئاً ما، ولكن لاتقل لها بأنني أنا من قلتُ لك ذلك». وعندها يدخل الرجل المسكين في دوّامة لايعرف كيفية الخروج منها، وكما يقال: «من هذا الجانب أتباعنا، ومن ذاك الجانب أتباعنا أيضاً»، فما الحل إذاً؟

ثم يعود الأب إلى المنزل، فتسرع إليه الأم وتُنبّهه بحذر كي ينصح ابنه قليلاً بشأن زوجته. وعندها ينادي الأب على ابنه بغضب، ثم يبدأ

بالتفسير له عن طرق التعامل مع الزوجة مبرهناً كلامه بأمثلة عن رجال آخرين ربّوا نساءهم جيداً. وبعدها يدخل الابن غاضباً إلى غرفته ويصبُّ حمم غضبه على زوجته. وعندما تشعر الزوجة بأنها باتت وحيدة، وأنّ عونها الوحيد الذي هو زوجها قد أطاع أهله وانتسب إلى صفِّهم، تقوم بمحاولاتها الأخيرة لاسترجاع زوجها المفقود إلى صفها. وعندما تفهم بأنها تفعل ذلك سُداً، وقد بقيت وحيدة في هذه المعركة، حينئذٍ تستنجد بأمّها. وهنا ماذا تظنون؟ إلى أي طرف ستنضم أم العروس عندما ترى جيشاً كبيراً واقفاً ضدّ ابنتها؟ وهكذا يتّسع نطاق الصراع، وتبدأ العائلتان بالعِراك.

طبعاً كل هذه الأحداث لن تبدأ في الأيام أو الأسابيع الأولى من الزواج، بل بعد مضي شهرين أو ثلاثة تقريباً. وهذه هي بدايات المأساة في العائلة الشاملة، وهكذا يعيشون ضمن أجواء متوتّرة وعدوانية لعدّة سنين. وفجأة يتزوج الابن الثاني، وبعد وقت قصير تّتحد الكنّتان وتُشكّلان فريقاً واحداً ضدّ حماتهما. ومن ثم يتزوّج الابن الثالث، وبذلك تنضمُّ كنّة أخرى إلى الفريق المُضادّ. وأريد أن أُذكّركم بأن هذا المنزل مؤلّف من غرفتين، بينما كان على الأزواج أن يعاشروا نساءهم أيضاً.

والآن تعالوا نتصوّر ماذا سيحدث. الأبناء الثلاث: سيذهبون في كل صباح إلى العمل، وستبقى الأم مع كنّاتها الثلاث ضمن أجواء منزلية متوتّرة. ولا داعي للعجب لو لاحظنا أن الأزواج الثلاث لا يرغبون بالعودة إلى المنزل الذي هو بمثابة جحيم لا يُطاق بالنسبة لهم. ولنتصوّر الآن أنهم قد رجعوا إلى المنزل، وعندها ستنفرد كلّ امرأة بزوجها وتبدأ بالتذمّر والشكوى إليه، ولكن هذه المرة ليس من الحماة

فقط، وإنما كل كنّة من الأُخرى أيضاً. وتبدأ خيوط الكراهية بالانسلال، وتنقسم الأسرة إلى أربع جبهات قتالية حامية.

لقد نشأت كل تلك المشاكل لسبب واحد، وهو عدم الاكتراث بمشيئة الله ووصيته. ولكن ماهي مشيئة الله؟ هي أن يستقل كل رجل بأسرته ويكون سيد بيته ورأسه. فعند زواج الابن الأكبر كان عليه أن يستقلّ مع زوجته في بيت آخر، وكان لنفس الأمر أن يتحقق عند زواج الابن الثاني والثالث أيضاً، وحينها كان الكلّ سيكون مسالماً وتجمعهم المحبة بدلاً من الكراهية، وعندما يبقى الوالدان وحيدَين، يتحوّل كلّ اهتمامهما نحو بعضهما البعض.

إنّ التحدث حول هذا الموضوع، يُثير روح العدوانية والغضب لدى بعض الناس. ولكن هذه هي الحقيقة، والحقيقة المرّة خير من الأكذوبة الحلوة.

«يترك الرجل أباه وأمه ويتّحد بامرأته» تكوين ٢: ٢٤

نلاحظ في هذه الآية أن الله قد أعطى وصيتين: تَرْك، واتّحاد.

تعالوا لآن لندقّق في هاتين الوصيتين:

١–إنّ كلمة «تَرْك» تُقابلها كلمة «أزايِهْ» في النص العبري الموافق، ولها ثلاثة معانٍ:

أ– إضعاف العلاقات المتبادلة: أي بعد الزواج يُخفّف الابن قليلاً من علاقاته مع والديه.

ب– القيام بالتوديع: وهذا سيتطلّب طبعاً سكب دموع كثيرة.

ج– المغادرة: أي لايوجد طريق للرجعة. القول وداعاً للحياة السابقة، وخاصّة لحياة الرفقة الدائمة مع الأصدقاء والأقارب. فعلى الإنسان أن يكون مستعداً عند الزواج لابتداء حياة جديدة مع صديقه الجديد والأبدي.

لقد روى لي يوماً المبشِّر الكبير «كارل كوستاف» قصة عن عائلته. عندما بلغ أولاده عمر الزواج لم يكن قد أسّس منازلاً مستقلّة من أجلهم بعد، ولكنّ ابنه كان ينوي الزواج والاستقلال بحياته، وقد كان والده يسأله: «كيف ستعيشون؟»، فمن الضروري جدّاً أن تجعل ابنك يفكّر بما سيفعل.

لقد كان الابن متزوجاً عندما كان يزور أهله ويشكو من أوضاعه المادّية المتدهورة، ولكن والده لم يعطِه مالاً مرّة، على الرغم من كونه موَمَّناً مادّياً، حيث لم يقل لابنه يوماً: «تعالوا لأعطيكم مالاً للعيش». كلاّ، بل كان يسأله: «ولكن ماذا ستفعل؟ اذهب وجرّب هذا العمل..». وبعد ذلك كان يُرسل مبلغاً لابنه عن طريق صديق له، دون أن يكشف لابنه عن حقيقة الأمر. وقد كان ابنه يتشجّع ويودِع ذلك المال في مضمار عملٍ جديد حامداً الله على كلّ شيء، وبعد ذلك كان يأتي ويقدّم شهادة لوالده عمّا حدث، ولكنّ والده كان يبقى محافظاً على سِرّه. هو كان يساعد ابنه على الصعود بطريقة حكيمة جدّاً، وذلك دون أن يحفظه في وضعيّة التعلّق منه، وبهذا كان يمنح تلك العائلة الجديدة فرصةً للاستقرار والثبات في هذا العالم.

يدخل الأزواج الجُدُد في بلداننا تحت رقابة الأقارب، حيث يخشى المتزوجون عند ضيق حالهم من بيع أية هدية تسلّموها يوم العرس: «آه تلك هدية الجدّة، ماذا سنفعل لو لاحظت غيابها؟». إنّ شعبنا يحب العرض والمظاهر كثيراً، حيث تُقدَّم الهدايا للعروسين يوم العرس أمام أعين الجميع وتحت أضواء آلات التصوير، فمن المفروض التقاط صورة للمُهدي في لحظة الإهداء، لتخليد ذلك المشهد إلى الأبد، وحتى يرى الجميع من خلال الصور كلّ من أهدى وما أهدى. كما أنّ تلك الصورة في المستقبل ستُستخدَم كأداةٍ لحفظ المتزوجين في وضعية تعلّق دائم من قِبَل الجانب المُهدي، وكي يتم سؤالهم في كلّ مرة: «أين خاتمنا الذي أهديناه؟».

في الحقيقة أنا لا ألقي باللوم على هؤلاء الناس، فهم من دون شك أسرى تقاليدنا الخاطئة، وينبغي على تلك التقاليد المبنيّة على العرض والمظاهر أن تُباد.

ومن العادات السيّئة أيضاً أن يأتي أقارب العروس إلى بيتها يوم الزفاف وينفردون بها في غرفتها، ثم يبدأون بالرقص والغناء وهم يخلعون ملابسها ويُلبسوها حُلّة العرس. أليس هذا تقليلاً من شأن العروس وحرماناً لحرّيتها؟ تعالوا نعطي العروس الحرية في خلع وارتداء ملابسها كما تريد، ومن دون تدخل الأقارب.

وهناك تقليد آخر يُدعى تقليد التفّاحة الحمراء. حسب هذا التقليد، في الصباح التالي لليلة العرس إذا قام أهل العريس بإحضار تفّاحة حمراء اللون إلى بيت أهل العروس، فذلك يعني أنّ تلك الفتاة كانت عذراء خلال ماضيها، وقد تمّ تجريدها من عُذريتها من قِبَل زوجها ليلة العرس، وفي

حال لم يحضروا معهم شيء، فذلك يعني أن تلك العروس لم تكن عذراء. إنّ ذلك التقليد قد فسخ العديد من الزواجات ودمّر حياة الكثيرات. فلنفرض أنّ فتاةً ما قد أغواها إبليس في الماضي وخدعها بمكره، فأخطأت مرّة في حياتها مع شابٍ ما، لكنّها أدركت غلطتها فيما بعد وندمت كثيراً، ثمّ تابت ومنحت قلبها وحياتها للمسيح، وهو قد سامحها بعظَمَته ونقّاها بدمه الثمين، وأصبحت تلك الفتاة أختاً مؤمنة. ونحن نؤمن أنّ الله يريد أن يمنح تلك الفتاة حياةً جديدة مِلْؤها المحبة والطمأنينة، لكن تقليد التفاحة الحمراء سيقف كحاجز مُدمِّر في وجه سعادة هذه الفتاة. لكنّ السؤال المهمّ هنا، لماذا يقتصر هذا التقليد على الفتيات فقط؟ لماذا لا يشمل الرجال أيضاً؟ هل من المفروض على الفتاة وحدها أن تحافظ على بتوليتها؟ أليس على الرجل أيضاً واجب الحفاظ على بتوليته وطهارته؟ إنّ مشيئة الله أن يحافظ الناس على بتوليتهم نساءاً كانوا أم رجالاً، وإذا كان الإنسان ضحيّةً لخدعةٍ ما ومذنباً.. فماذا إذاً؟ ألن يُمنَحَ له الغفران أبداً؟ إنّ الله أبٌ رحيمٌ وغفور، وهو ينتظر دوماً رجعة أبنائه الضالّين حتى يمنحهم حياةً جديدة بدم ابنه الثمين.

يمكن الاستنتاج أنّ الشُبّان والشابّات ابتداءً من يوم زفافهم يفقدون حرّيتهم التي وهبها الله لهم ويصبحون عبيداً للتقاليد. أنا لا أتكلم اليوم ضدّ الناس، بل ضدّ التقاليد الخاطئة التي تحدّ من حريتهم وتخنقهم.

لقد كتبتْ إحدى الروائيات كتاباً عن الشعب الأرمني ذكرت فيه أنّ سبب العيون الحزينة التي يحملها الأرمن يعود لكونهم شهود عيان لمجزرة دمويّة في الماضي. وقد سألني أحد الأصدقاء عن رأيي في هذا الموضوع، فقلت بأنني لا أوافقها في الرأي، والسبب هو أن جيل اليوم لم يُشاهد أيّة مجزرة دموية ولكنه مازال يولدُ بأعينٍ حزينة. إنّ السبب

الحقيقي وراء ذلك يكمن في العادات والتقاليد السائدة التي توارثناها إلى اليوم. فبحسب تقاليدنا، يكون الطفل محروم من حريته منذ يوم ولادته. فمنذ الصغر يضع الأهالي تحت وسادة الطفل سكّيناً أو شوكة وأشياء تافهة أخرى بهدف حمايته من الحوادث الشريرة، وهم لا يُدركون أنهم بأفعالهم هذه يسحرون طفلهم. وهناك من يضع على سرير الطفل وجسده قلائد وخرزات زرقاء اللون، لكي لا تصيبه العين ويلحق الضرر به حسب اعتقادهم. أحبّائي، إن كلّ هذه الأشياء تأتي عن ديانات وعباداتٍ أخرى، ولا علاقة لها بالمسيحية أبداً. فأنا مثلاً لم أسمح بوضع أية خرزة زرقاء على طفلتاي، ومع ذلك فهما محميَّتان. كثيرون هم الذين ذُهِلوا بهما ومدحوهما، ولكن لم يُصِبهما أي أذىً، وذلك بسبب عدم إيماني بخرافة «إصابة العين»، فأنا أؤمن بالرب يسوع وبدمه الذي يحمينا من كل شر.

إنّ أي أمر تؤمن به، تناله، سلبياً كان أم إيجابياً.

تعالوا يا أحبّائي لنتخلّى معاً عن تلك التقاليد الشيطانية والمُضادّة لله.

قد درسنا الوصية الأولى التي تقول «اُترك»، وهذه إرادة الله. والآن لنعالج الوصية الثانية:

٢–يتّحد الرجل بامرأته:

كلمة «اتّحاد» تُقابلها في العبرية كلمة «داباك»، ولها ثلاثة معانٍ أيضاً:

أ–تتبُّع المرأة ومُلاحقتها:

إذا لم يقم الزوج بملاحقة امرأته، فسيتواجد شخص آخَر من يرغب بملاحقتها. لذا فمن المستحسن أن يلاحقها زوجها بدلاً من رجل غريب. فالمرأة بحاجة لذلك دائماً، وهي ترغب أن تكون طوال الوقت في محور اهتمام الرجل.

أريد أن تتفهّموا الموضوع بالشكل الصحيح، فأنا لا أقصد بكلامي ما يتفوّه به الناس عن بعض الرجال قائلين: «اُنظروا، إنه مُعلَّق من بتنّورة زوجته» أو أنّه يحيا تحت ظلِّ زوجته. كلاّ، فنحن نتحدّث عن العلاقات المتبادلة الصحيحة وعن العائلة المتينة. ويمكننا القول أننا نتحدث عن الطبيعة السرية للمرأة، وما تتمنّى أن تتلقّاه من الرجل. إنّ احترام المرأة هو من شِيَم النبلاء.

ب– التوحُّد معها:

أي التحول إلى جسد واحد معها، جسد عديم الانفصال. وهذا يعني أنّه إذا ما وقف أحد في وجهها، فهو يقف في وجهكَ أيضاً.

هل تعلمون؟ إن اتّحادنا أنا وزوجتي قوي جدّاً لدرجة أن طفلتاي لا تستطيعان التفريق بيننا. فأحياناً يقوم الأولاد بشكاء أحد الوالدين للآخر بهدف إثارة الشفقة نحوهم، ولكنّ ابنتاي تدركان جيّداً أنّنا أنا وزوجتي لن نتخلّى عن بعضنا ونبدأ بالدفاع عنهما.

ج– التمسُّك ببعض بقوة:

هناك الكثير من الرجال الذين يتركون كل شيء بعد الزواج ما عدا

مجتمع الرفقة والأصدقاء. بينما كان من المفروض عليهم أن يتخلّوا عن كل شيء ويتمسّكوا بالعائلة.

هناك عادة متَّبعة في أوروبا، حيث أنه قبل زواج الشاب والشابة، يقوم أصدقاؤهما بدعوتهما لقضاء يوم مثير معاً، فيلهون ويمرحون كثيراً، ثم يذهبون في المساء إلى أحد المطاعم ويقومون بتوديع صديقيهم قائلين: «نحن نودّعكما اليوم، فأنتما ستكفّان عن مصاحبتنا كما كنتما في الماضي. ومن الغد فصاعداً ستتفرّغان لبعضكما، وستصبحان صديقين حميمين لبعضكما البعض فقط». إنّ هذا قانون، ولكن بالطبع سيتابع الزوجان مصاحبة أصدقائهما بمودّة، ولكنّ الكل سيفهم بأن هذه الصداقة ليست كما كانت في السابق، فهما منشغلان الآن.

«يترك الرجل أباه وأُمَّه ويتّحد بامرأته»

هذه هي وصية الرب، وأولى الشروط الأساسية للعائلة، وبهذه الوصية يوضَع حجر أساس العائلة.

(3)

لغات الحب الخمس

إذا أردتَ يوماً أن تتحدث إلى شخصٍ إنكليزي، فيجب عليك أن تتقن اللغة الإنكليزية. هكذا الحال أيضاً بالنسبة للحب! فإن أردتَ أن تعبّر عن حبك لزوجتك، فللحب أيضاً لغاتٌ خمس عليكَ أن تتقنها.

على النساء أيضاً أن يستخدمن لغات الحب الخمس، فهنّ يفهمن لغة الحب أكثر من لغتهنّ الأم. فالحب يُعبَّرُ عنه بخمس لغات: الأولى هي التعبير بالكلام، أي عندما تُعبِّر عن حبك بعباراتٍ رومانسية بقصد المغازلة والإطراء، فتقول مثلاً: «أنا مولعٌ بكِ! أنتِ في منتهى الجمال والروعة! لا مثيل لكِ في العالم! أنتِ كاملة الأوصاف!» فكلمات الإطراء والغزل هي إحدى لغات الحب. لكن حتى وإن عبّرت عن حبّك بهذه الطريقة، فإن الحبيبة تقول في كثيرٍ من الأحيان أن حبك ليس إلا كلاماً. في الحقيقة، تحب النساء كلام الغزل والإطراء، فلماذا إذاً لا يكتفين بهذا الكلام فقط؟ لماذا نسمعهن يقلنَ في أحيانٍ كثيرة: «إن حبكَ مجرَّد كلامٍ لا أكثر؟» السبب هو أن هناك لغات أخرى أيضاً للحب وعلينا استخدامها جميعاً إن أردنا أن نتمتع بكل ما تحمله كلمة سعادة من معنى. تنشأ كثيرٌ من المجادلات العائلية عن أسباب تافهة وغبية، حيث أنك عندما تتفحصها تجد أنها لاتستوجب هذا الشجار. إنّ الجذر الرئيسي لكل خلاف هو عدم الاكتفاء في ناحيةٍ ما. كثيرٌ من الأزواج يخطئون عندما يبالغون في التعبير عن حبهم لنسائهم بالكلام، لأن الكلام يفقد قيمته وتأثيره بكثرة تكراره فيصبح أمراً اعتيادياً. في أحد الأيام قال لي أحد الأصدقاء: «زوجتي أصبحت غريبةً جداً، فهي تدّعي بأني لا أحبها، مع

أني أقول لها مئة مرةٍ في اليوم أني أحبها. لستُ أدري كيف أبرهن لها عن حبي، فهي لا تصدقني!». فقلت له: «طبعاً لن تصدقك، فأنت تعوَّدتَ أن تُكرِّر لها كلماتٍ حفظْتَها غيباً. حاول أن تتحدث إليها بلغةٍ أخرى». وعندما سألني عمّا يعني هذا، تحدثتُ معه عن لغات الحب الخمس.

لغة الحب الثانية هي لغة تقديم الهدايا. فالهدايا هي إحدى لغات الحب المعبِّرة جداً، وهي تعلن عن الحب والإعجاب بالطرف الآخر من دون كلام. ولكن للأسف يذهب بعض الناس في هذا المجال إلى حد التطرّف، فهم لا يحسنون التحدّث إلا بهذه اللغة. فتجدهم مثلاً يقدمون باقاتٍ من الورود إلى أحبائهم في كل يوم. بهذه الطريقة يدوم تأثير هذه اللغة لأيامٍ قليلةٍ فقط، وتفقد مفعولها لتتحول إلى أمرٍ اعتياديٍّ أيضاً. بعد ذلك، تعود الحبيبة إلى الشكوى: «ألا يمكنك أن تقول لي كلمة حبٍّ واحدةٍ صادرةٍ من قلبك؟». قال لي أحد الرجال يوماً: «أنا لست مستعداً أن أعيش بهذه الطريقة»، فأجبته: «إذاً، ابتعدْ عن الحب والزواج لأن النساء يطالبن بكلِّ تلك الأشياء». وطبعاً للرجال أيضاً متطلّباتهم الخاصة التي سنتطرَّق إليها فيما بعد. أما الآن فنحن نحاول أن نوضِّح ما تعنيه وصيّة «أحبوا نساءكم».

لغة الحب الثالثة هي لغة اللّمس. لديّ ابنتان وهما مختلفتان في الطباع، فالكبرى ترغب أن أُلاطفها وأعبِّر عن حبي لها بالكلام. أما ابنتي الصغرى فهي ترغب أن ألمسها أيضاً، أي أن أضع يدي على كتفها أو أمسك بيدها. للناس طباعٌ مختلفة، وبعضهم يحتاج إلى سماع لغة اللمس، ونحن يا أحبائي يجب أن نستخدم هذه اللغات الخمس مع أطفالنا أيضاً، فنتحدث إليهم بمحبة ولطف مستخدمين كلماتٍ تعبّر عن حبنا لهم، وأن نشتري لهم الهدايا، وأن نأخذهم في أحضاننا ونُقبِّلهم.

يُصدَم الطفل عندما ينتقل من البيت إلى المدرسة لأول مرة، فهو لا يجد هناك لغات الحب الخمس، ففي المدرسة هناك لغة الفيزياء والكيمياء والرياضيات. هذا أمرٌ طبيعي، فالمدرسة هي مكانٌ للدراسة، ولهذا السبب يشتاق الطفل ويحنُّ إلى المنزل. من الغريب أنَّ بعض الفتيات والنساء يبحثن عن لغات الحب في أماكن العمل والدراسة ووسائل النقل، ومن المؤسف أنهنّ يعشن بهذه الطريقة بحثاً عن كلمات الحب في كل مكان.

الحياة الجنسية أيضاً هي طريقة للتعبير عن لغة اللمس بالنسبة للمتزوجين. قال لي أحدهم يوماً: «كيف تسمحون لأنفسكم بالتحدّث عن الأمور الجنسية في الكنيسة؟»، فأجبته: «من المستحسن أن نشرح ونوضِّح ذلك في الكنيسة، بدلاً من أن تشرحه وتوضحه لنا المجلاّت والنوادي الليلية». الكتاب المقدس لم يغضَّ النظر عن هذا الموضوع. أنا لا أفهم أولئك الذين يرتعبون من النقاش حول المسائل الجنسية، فنحن جميعاً ثمار علاقة جنسية، ولولا تلك العلاقة لما نشأت البشرية أصلاً.

أما اللغة الرابعة فهي لغة الوقت المُفيد والمثالي. ما معنى هذا؟ ذلك يعني أنه عليك أن تخصص وقتاً كافياً من أجل التواصل مع زوجتكَ وقضاء وقتٍ مثاليٍّ معها. هناك فرق بين العبارتين: «أن تُمضي وقتاً كافياً في المنزل» و«أن تُمضي وقتاً كافياً مع زوجتكَ»، فهما مفهومان مختلفان تماماً. قد تمضي الوقت في البيت على أي حال، لكن استلقاؤك أمام التلفاز مستغرقاً في برامجه شيء، ووجودك بجانب زوجتك وأنت منجذبٌ إليها شيءٌ آخر. يمكنك أن تكون في المنزل وتمضي الوقت مع نفسك فحسب. كثيرٌ من الرجال يفكرون: «ما الذي ينقصها، فأنا أملأ خزانتها بالملابس وثلاجتها بالطعام، فما الذي تريده مني بعد؟».

توفير احتياجات المرأة المادية وحده لايجعلها سعيدة، فالمرأة بحاجة للتواصل والكلام. عادةً يعود الرجال إلى منازلهم منهكين بسبب العمل المضني، فيستلقون أمام التلفاز أو يتلهّون بشيءٍ ما ثم يخلدون إلى فراشهم للنوم، في الوقت الذي تكون فيه المرأة بحاجة للتواصل مع زوجها والإحساس بوجوده واهتمامه بها. وهناك حالات أخرى حيث تنتظر المرأة عودة زوجها من العمل ليخرجا في نزهةٍ معاً، لكن أملها يخيب عندما يعود زوجها ويعرض عليها ممارسة الجنس! من الحماقة تأسيس العائلة على العلاقة الجنسية فحسب. هناك أيضاً كثيرون يتزوجون بهدف التكاثر وإنجاب كثيرٍ من الأطفال. أتعلمون؟ إن العائلة ليست وسطاً لإنجاب كثيرٍ من الأطفال فحسب. طبعاً من الضروري أن نحافظ على العِرْق وننجب الأطفال، لكن للعائلة قيمة وضرورة أكثر أهمية.

اللغة الخامسة للحب هي مساعدة المرأة في أعمال المنزل. عندما تبدأ بالتحدث بهذه اللغة، فإنك تمنح زوجتكَ حباً أعظم مما تمنحه لها ستون كلمة "أحبّكِ" في اليوم. أيها الرجال الأعزّاء، باستخدامكم للغات الحب الخمس، لن تسمعوا من زوجاتكم أبداً عبارة: «حبّكَ ليس إلا كلاماً!». لا تفكروا بطريقة: «أنا أعمل كل هذه الأشياء! فما الذي تفعله لي زوجتي بالمقابل؟».

لم أقترح عليك أموراً صعبة، ولم أطلب منك أن تطبّق ثمانٍ وثمانين نقطة، ولا ألف وست مئة وثمانٍ وثمانين نقطة. إن كنتَ تحب زوجتكَ حقاً وتتمنّى أن تراها سعيدة دائماً، فعليك أن تتحدّث إليها بهذه اللغات بين الحين والآخر. ليس الأمر صعباً، فعملك مثلاً يتطلب منك واجباتٍ ومسؤولياتٍ ثقيلة وصعبة، لكنك إن رفضتَ القيام بها، فقد تفقد

وظيفتك! أما أنا فأقترح عليك خمس لغاتٍ للحب فقط، عليك استخدامها من حينٍ لآخر طوال حياتك.

في أحد الايام قمتُ بزيارة صديق لي ولم تكن زوجته في المنزل. دخلت إلى غرفة نومهما ولم يكن سريرهما مرتّباً، ولاحظ صديقي نظراتي المستغرِبة إلى السرير فأراد تبرير الفوضى، فقال: «أُعذرني، فقد غادرتْ زوجتي المنزل مبكّرة ولم أكن قد استيقظت بعد، فلم تتمكن من ترتيب الفراش!». كان صديقي يفكر كرجلٍ عاديٍ وليس كرجلٍ مسيحي، فلم يخطر بباله قط أنه قادر على ترتيب فراشهما بنفسه هو أيضاً إن أراد.

في أحد الأيام كانت زوجتي منهمكة في ترتيب شؤون المطبخ، فأخذتُ آلة شفط الغبار وبدأتُ بتنظيف البيت. أثناء ذلك دخل موظف شركة الكهرباء لقراءة العدّاد، فأصابته الدهشة عندما رآني أفعل ذلك وأخذ يُحملق فيّ باستغرابٍ شديد. قلتُ له: «لاتتعجّب هكذا! وإن واصلت التحديق بي فسأعطيك عملاً لتقوم به أنت أيضاً». إنه عاجزٌ عن فهمي، أما أنا فأفهمه تماماً. لقد عشتُ طويلاً كما يعيش هو، ولكنه لم يعش قط بالطريقة التي أعيش بها الآن.

عندما كنت في زيارةٍ للولايات المتحدة، ذهبت يوماً إلى أحد المتاجر النسائية لشراء ملابسٍ لزوجتي. كنت أرتدي ملابساً صيفيةً خفيفة وأضع قبّعةً على رأسي بسبب الحر. فجأةً فُتِح باب المتجر ودخلت أربع نساءٍ سائحاتٍ من بلدي. وما أن رأينني حتى غمرنَني بنظرات الاحتقار الشديد، ولاعتقادهن بأني أمريكي، بدأن بالتحدث عني، فقالت إحداهنَّ: "يا للأمريكيين المغفّلين! ما كنتُ لأسمح لزوجي بأن يدخل مكاناً كهذا!"

ثم تابعنَ إهانتي وانتقادي بكلامٍ جارحٍ جاهلاتٍ أنني أفهم كل كلمةٍ من كلامهن. لقد أدركت أن أزواج أولئك النساء لن يجرأوا قط على دخول متجرٍ كهذا حتى لو توسّلنَ إليهم. لذلك، فقد حكمن على زوج امرأةٍ أخرى بهذه الطريقة البشعة. كان في المتجر بالطبع رجالٌ آخرون غيري يشترون ثياباً لزوجاتهم. إن طريقة تفكيرنا المحدودة تمنعنا من منح الرجل الحق في شراء ما يريده لزوجته تماماً كما يحق للمرأة أن تشتري كل ما يحتاجه زوجها. المثير في هذا الأمر هو أن النساء هنّ من وضعن هذه الحدود.

الرجل المحب لا يرفع يده على زوجته أبداً. وبشكلٍ عام، فإن الضعفاء من الرجال فقط هم الذين يضربون زوجاتهم. فبالرغم من أن الرب يسوع كان قادراً تماماً على قهر الجميع، إلا أنه غفر لهم عوضاً عن ذلك. لقد أظهر بذلك قوةً ورجولةً لا مثيل لهما. في لحظات الحقد والكراهية، يجب عليك كمؤمن أن تمنح حبك وغفرانك. هكذا تُعلّمنا الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس والأصحاح الثالث عشر: «لو كنتُ أتكلّم بلغات الناس والملائكة وليس عندي محبّة، لما كنتُ إلاّ نُحاساً يطِنُّ وصَنْجاً يرِنُّ! ولو كانت لي موهبة النبوءة، وكنتُ عالِماً بجميع الأسرار والعلم كلِّهِ، وكان عندي الإيمان كلُّهُ حتى أنقلَ الجبال، وليس عندي محبةٌ، فلستُ شيئاً! ولو قدَّمتُ أموالي كلَّها للإطعام، وسلّمتُ جسدي لأُحرَق، وليس عندي محبة، لما كنتُ أنتفعُ شيئاً» ١كورنثوس ١٣: ١–٢.

ما هي المحبة؟ «إنَّ المحبة تصبرُ طويلاً.» عندما تشعر أن صبرك قد نفذ، تذكر أن المحبة هي أن تصبر طويلاً. قد ينفذ صبرك فعلاً، أما محبتك فلا تنفذ قط. «المحبة لا تحسد. المحبة لا تتفاخر ولا تتكبَّر، ولا تتصرف بغير لياقة.» هذه الصفات ينبغي أن تتوفر في الرجال أيضاً

وليس فقط في النساء، والمحبة «لا تسعى إلى مصلحتها الخاصة!». هل تعلمون ما معنى هذا؟ يعني ذلك أن تجتهد لا من أجل منفعتك أنت بل من أجل منفعة عائلتك! فهذا ما يعلمنا إياه الكتاب المقدس، ومكتوب أيضاً بأنه من يُنهك أهل بيته أو يعكِّر مزاجهم فسيحصد الريح فقط أمثال ١١: ٢٩. والمحبة «لاتُستَفزُّ سريعاً، ولا تنسب الشر لأحد. لا تفرح بالظلم، بل تفرح بالحق. إنها تَستُرُ كل شيء، وتُصدِّق كل شيء، وترجو كل شيء، وتتحمل كل شيء. المحبة لا تزول أبداً». إن محبةً كهذه تنتصر دائماً وأبداً. والرجل الذي يقدم المحبة لا بد أن يكون محبوباً أيضاً.

عندما ننطق عبارات الحب، علينا ألاّ ننسى تعبيرات وجوهنا وإيماءات جسدنا الأخرى. فعندما تنطق بمجرّد كلماتِ حب، فإن هذه الكلمات تعجز عن اختراق قلب الحبيبة. لكنك إن أخرجت تلك الكلمات من أعماق قلبكَ وأشعلتها ببريق عينيك وتعبيرات وجهكَ ودفء مشاعرك، فستتحول تلك الكلمات إلى سهام حبٍّ تنطلق من قلبكَ مباشرةً نحو قلبها. فهذه الأمور كلها تكسو كلامك بالتعبير والمعنى. لا تكن ممن يقولون: ″همومي ومشاغلي ومشاكلي كثيرة، ولا وقت لديّ للتفكير في الحب!″. تذكّر أن الجميع يتعرضون للمشاغل والهموم، فالموتى وحدهم لا مشاكل لديهم. أما الأموات الذين حلّت أرواحهم في الجحيم، فقد ابتدأت مشاكلهم للتو. قال المبشِّر الكبير لِستِر سامرال: «أنا لا آخذ همومي ومشاغلي معي إلى المنزل قط، بل أغلق عليها باب مكتبي إلى أن أعود إليها في اليوم التالي، ثم أذهب إلى بيتي صافي الذهن لأهتمَّ بأمور عائلتي». إن كنتَ رجل أعمال، فأنا أنصحك بألاّ تأخذ آلتك الحاسبة معك إلى البيت، وقد يحتاج الأمر إلى إغلاق هاتفك الخليوي أيضاً. إن للعائلة مفهومٌ مختلفٌ تماماً عما نعرفه عن العائلات في عالمنا اليوم. فإن رغبنا في أن تكون عائلاتنا سعيدة ونموذجية، علينا أن نتنازل عن

أشياء كثيرة في سبيل تقدّم العائلة وخيرها. إن أردتَ أن تكون سعيداً، وأن تُسعِدَ أسرتك معك، فتمسَّك بكلمة الله بشدة، واستخدم لغات الحب هذه:

١–عبارات الحب.

٢– اللمس والعلاقة الجنسية.

٣– الهدايا.

٤– قضاء وقتٍ مثالي في التواصل.

٥– المساعدة في الأعمال المنزلية.

))))))))))))))))))o((((((((((((((((((

(4)

الاحتياجات العاطفية والطبيعية العشر

يحمل كلٌّ فردٍ في العائلة مشاعر، كما أن لديه احتياجات طبيعية أيضاً، لذا من الواجب علينا الانتباه إلى الاحتياجات العاطفية والطبيعية للإنسان.

في العالم المسيحي وفي حياة الإيمان بشكل عام، ينغلق بعض الناس في الكثير من الأحيان داخل الروح، حيث أن الرجال في العالم الديني، وأحياناً النساء أيضاً، ينعزلون بأنفسهم قائلين: «أنا سأعيش في الحياة الدينية فقط»، لكن في الحقيقة لدى الإنسان مشاعر واحتياجات طبيعية، وهو لايستطيع العيش بالدِّين وحده.

كثيراً ما يقول الناس: «أنا أؤسِّس عائلتي»، ولكنني أريد أن أتساءل: «كيف تؤسِّسها؟». فإن كنت تؤسّسها فعلاً، فإنّ ذلك يتطلّب جهداً وعملاً معيّناً. فنحن بإمكاننا أن نسنُد أيدينا على وسادتنا وننام، وحينها ستقول لنا كلمة الرب: «إنّ الفقر آتٍ إليك لا محالة». إذاً لو كانت لدينا الإرادة في بناء شيء ما، فعلينا أن نتذكّر دائماً بأن ذلك يتطلّب جهداً وفيراً. ماذا تعني عبارة «تأسيس عائلة»؟ إنّ تأسيس عائلةٍ متينة يتطلّب عملاً دؤوباً، وبعد تأسيسك لعائلتك ستغمرك السعادة وستفتخر بما صنعته يداك، بينما تُقبل الكثير من الفتيات اليوم على الزواج، فقط، كي لا يُقال عنهنَّ بأنَّهنَّ عانسات. وهناك أيضاً شُبّان يتزوجون بهدف زيادة النسل فقط. أولئك الأفراد لن يتمكنوا من تكوين جسدٍ واحدٍ مع أقرانهم.

إحدى الاحتياجات الطبيعية للإنسان هو الجو العائلي الدافئ، وهذا الأمر يتوقف بشكل كبير على المرأة، لأنّ جو العائلة هو بين يديّ الزوجة. فالمرأة تستقبل زوجها وتُقدِّم له الطعام ومن ثم تعاشره، فيلاحظ الزوج أثناء تبادل الحديث مع زوجته بأن زوجته لم تُفضِّل الانشغال بأي أمر آخر، بل قامت على تكريس وقتها له. وبعد ذلك يقترح الزوج القيام على تدريس الأطفال، ومن ثم قضاء وقت ممتع معاً.

لا يجب أن يكون بمقدور العلامة السيئة التي يحصل عليها الطفل في المدرسة يتغير جو المنزل الهادئ، كما لا يجب لهموم العائلة أيضاً إحداث ذلك التأثير، فالحفاظ على الجو المستقر في المنزل يشبه عمل حرّاس الحدود. إذاً وَفِّرْنَ أجواء عائلية ملائمة، وستلاحظن كيف أنّ أزواجكنّ سيميلون إلى المنزل. عندما لاتتوافر في المنزل أجواء عائلية ملائمة، يسعى الزوج إلى إيجاد مشغوليات مختلفة خارج المنزل بهدف قضاء أقصر وقت ممكن داخله. إنّ جو المنزل الملائم سيحثّ الرجل على إيجاد عمل جديد مناسب، يجعله يتمكّن من العودة إلى المنزل باكراً.

الاحتياج الطبيعي الثاني هو أشبه بكلمة «اتّحاد» فكلمة الله تقول: «..يتحد بامرأته..» تكوين ٢: ٢٤، وبكلمة أخرى: «يتعلّقان ببعض». هناك أشخاص متعلّقون بالتدخين، وآخرون متعلّقون بالشرب، ولكن من الأفضل للناس أن يتعلّقوا ببعضهم البعض. فتعلقك بزوجك سيجعل زوجك يأتي إلى المنزل دائماً. لا تقومي ببناء عائلة تدفع قرينكِ للهرب من المنزل. أحياناً عندما أتحدّث مع بعض النساء أسمعهنّ يقلنَ: «في سبيل تربية أطفالي، لم أتمكن من تقديم شيءٍ لزوجي. لقد بذلتُ نفسي من أجل أولادي، لكن في النتيجة هرب زوجي»، وأغلب تلك النساء أنيقاتٌ بالمظهر، وعندما تُدقِّق في الأمر، تفهم أنّ الزوج لم يهرب بسبب

مظهرها، ولا بسبب المأكولات التي تطبخها، ولا بسبب طريقة كيّها للملابس، ولا من الاقتران معها. هل تعرفون ما الذي دفعه للهرب؟ صراخها. ففي أحيانٍ كثيرة لا يُلاحظنَ النساء بأنهنّ يتكلّمنَ بالصراخ طوال النهار، ثم يبرّرن موقفهنّ قائلات: «لقد كنت أهذِّب الأطفال، فقد كنت أوبّخهم من أجل علاماتهم السيّئة»، ولكن ما هي الفائدة من أنّكِ درَّستِ ابنكِ الرياضيات، والنتيجة دمّرتِ عائلتكِ؟

ربما تلاحظ بأنّ النساء يتذمّرنَ عادة من الوضع المستمر نفسه، حيث لا يُرضيهنَّ الأمر نفسه لوقتٍ طويل، فطباع المرأة تختلف كل الاختلاف عن طباع الرجل، ويجب على كل الأزواج أن يفهموا طباع بعضهم البعض. فمثلاً أغلب الرجال لا يُفضِّلون التسوّق وشراء الملابس، بينما ترى النساء يدرنَ الأسواق طوال النهار لشراء ثوبٍ ما أو حذاء، وقد يدخلنَ حتى المتاجر التي لا يتوقّعنَ وجود مطلبهنَّ فيها. عادةً يذهب الرجال إلى السوق وقد حدَّدوا في أذهانهم أشياء معيَّنة لشرائها، فيشترونها ويعودون بسرعة. فأنا مثلاً أتصرّف بهذا الشكل، أما زوجتي فتدخل إلى المتجر وتتفقَّد كل الأقسام والمنتجات ثم تختار ما تريد.

ولنذكُر اختلافاً آخر بين الرجل والمرأة. لايُعلِنَّ النساء عما في قلوبهنَّ بسهولة، فهنَّ شبه منغلقات على أنفسهن، فمثلاً إذا احتجن إلى حذاء، فهنّ لا يُعبِّرنَ عن رغبتهنَّ بشكل محدّد، وإنما يقلنَ: «لو كنت تحبني، لكنت قد فهمتَ ما أحتاج إليه». أيتها النساء العزيزات، كنَّ واضحات ومنفتحات، فإذا كنتنّ بحاجة لحذاء أو عطر، فقلن ذلك بصراحة وفوراً، فيمكن للرجال ألاّ يتمكنوا من قراءة أفكاركنَّ المكتومة، لكن هذا لايعني أنهم لا يحبونكنّ، أو غير مبالين بكن. فلو كنتِ تريدين باقة من الزهور،

فاكشفي عن رغبتكِ فوراً، ولا تنتظري متى سيحزر زوجك ذلك. كونا متعلقَيْن ببعضكما البعض، ولا تخفيا أيّ أمر عن بعضكما.

لا تعتقدوا أنّ الخيانة الزوجية تأتي بسبب الشهوة الجنسية فقط، فالخيانة تأتي بسبب غياب أمور كثيرة في العائلة. فمثلاً هناك نساء لا تثبتنَّ أقدامهنّ في المنزل. يتحدث الأصحاح السابع من سفر الأمثال عن سيرة امرأة لا تستقرّ قدماها في المنزل.

لنعيد النظر في موضوعِ الجو العائلي الدافئ. لا تعتقدوا أبداً أن البيت غير المرتَّب والمقلوب رأساً على عقب يمكن أن تتولّد ضمنه أجواءً عائلية دافئة، فالراحة العائلية تكمن في نظافة المنزل وترتيبه وفي أمور أخرى طبعاً. كما يجب تحقيق هذا الأمر من خلال التعاون بين الرجل والمرأة وبين أفراد الأسرة بشكلٍ عام. من الخطأ الانتظار بأن تقوم المرأة وحدها بتأمين الراحة العائلية للجميع. وإذا أردنا أن يكون المنزل ملائماً من كافة الجهات، فعلينا أن نحدِّد لكلِّ غرض في المنزل مكانه الخاص. إذا أصبح لكلِّ غرض في المنزل مكاناً خاصاً، وتمّ وضعه في مكانه دائماً، فإنّ الفوضى ستزول. إذا لم يكن في المنزل، حتى لمجرّد إبرة مكانها الخاص، فهذا يعني أنها ستُلقى هنا وهناك، وستبدأ الفوضى بالنشوء. إذا لم يكن للمكنسة أو آلة شفط الغبار مكانهما الخاص، فإنهما ستدوران جميع غرف المنزل. إذاً أنت كرجل نبيل، قم بخلق وسائل الراحة من أجل جميع أفراد عائلتك، ولا تتشبَّه بالرجال الذين يأتون بزوجاتهم إلى المنزل ويقولون لهنَّ: «هذا هو البيت وها أنا. إنّ أصدقائي ينتظرونني، وأنا ذاهب الآن، أما أنتِ فقومي بتهيئة وسائل الراحة». الزوجة بمفردها مهما قامت بالعناية بالمنزل، لن تتمكّن من تأمين الراحة التامّة، لذا

فعليكما التعاون حتماً في هذا الموضوع. الجو العائلي الدافئ والتعلّق ببعض، كلاهما أمران ضروريان في العائلة.

الاحتياج الثالث الضروري هو المال. ولتسديد هذا الاحتياج، ستقع على كاهل الرجل مسؤولية أعظم. ليس المال طبعاً جالب السعادة الأساسي، لكن له دوره في حياة الإنسان. نعم هو لن يجلب السعادة الدائمة لعائلتك، ولكنه سيجلب الابتسامة لأفرادها بالتأكيد. يجب للعائلة أن تكون مؤَمَّنة مادّياً، فالمال يتمِّم الاحتياجات الطبيعية والعاطفية لأفراد العائلة، فالإنسان بحاجة للمأكل والملبس وللأمور المعيشية الأخرى التي يلعب المال في تأمينها دوراً هاماً.

الاحتياج الرابع هو الحاجة لرفيق من أجل قضاء الوقت، أي عندما يكون قرينك كصديقٍ لك. إن اللّعب ضروري، ربما تقولين: «أنا لست بطفلة كي ألعب»، ولكنَ الرجال حتى سنّ التسعين يحبون اللعب، وحتى إذا طالت أعمارهم إلى سن المئة فهم يحبون أن يلعبوا أيضاً، فاللعب أمر جيد، وليس سيئاً. يتذمّرن النساء قائلات: «إن زوجي يلعب طوال اليوم خارج المنزل». قومي بإحضار تلك اللعبة إلى البيت والعبي أنت معه. ومِن هذا الأمر تحديداً يهربنَ النساء. إذا أردتِ أن تجذبي زوجكِ إلى المنزل، إذاً قومي بجلب تلك اللعبة أولاً. لا أقول بأن ذلك يجب أن يحتلّ كل وقتكم، ولكنّ عليكم تخصيص وقت معين من أجل ذلك. إنّ مسألة قضاء الوقت معاً يُتضمن فيها مشاهدة التلفاز والأمور المسلّية الأخرى. فالحياة ليست عملاً فقط، وإنما هي ترفيه ومرح أيضاً، فتناول القهوة سويّةً والتنزّه مع بعض، أموراً تتطلّب تخصيص وقت معيّن. عندما تُفضِّل الزوجة تناول القهوة مع جاراتها، فبدوره يُفضِّل الزوج التسلّي

مع أصدقائه فإن هذا مؤشّر سيئ. على كلّ واحد منكما عمل المستطاع للإثبات للآخَر بأنه شريك حياته الوحيد.

الاحتياج الخامس هي معاشرة بعضكما البعض، وأحد أساليب المعاشرة هو تبادل الحديث، فهذا عاملٌ مهم، وسيجلب لكما السعادة إذا ما استطعتم تنفيذه. فهناك عائلات لايتحدث فيها الأزواج مع بعضهم إلاّ نادراً، أو يكون حديثهم طوال الوقت عن المشاكل فقط. من قال بأنه عليكما التحدّث معاً حول المشاكل فقط؟ ألقوا المشاكل خارجاً. ألا يمكنك الجلوس بعض الوقت مع زوجتكَ ومجاملتها؟ وكذلك أنتِ، ألا يمكنكِ مدح زوجكِ أحياناً؟ ربما تقول: «نحن لسنا أطفالاً كي نقوم بأشياء كهذه»، ولكن في الكثير من الأحيان تتفكّك العائلة بسبب تلك المشاكل بالتحديد.

العائلة بالنسبة للكثيرين هي مشكلة بحدِّ ذاتها، فهم يظنّون أنّ عملهم هو المكان الوحيد الذي يشعرون فيه بالارتياح، أما المنزل فهو المكان الذي تحوم فيه المشاكل فقط. أنا أُردِّد عادةً: «عائلتي هي جنّتي الصغيرة التي أرجع إليها كلّ يوم». وعلى أساس هذا القول، بدأتُ بتأسيس تلك الجنّة. وحتى اليوم لم نقل أنا و زوجتي بعد بأننا انتهينا من تأسيسها، وفي كل يوم نعمل المستطاع من أجل تحويل عائلتنا إلى جنّة صغيرة فعلاً، لكن الكثيرون بعد الزواج يحوّلون عائلاتهم إلى جحيم لا يُطاق. إذاً فالحديث المتبادل بين الأزواج يحتلّ مكانةً هامّة في حياة العائلة.

والاحتياج السادس هو الاكتفاء الجنسي، فهذا أيضاً يدخل ضمن الاحتياجات الطبيعية والعاطفية للإنسان. عندما نقرأ الأصحاح السابع

من رسالة الرسول بولس الأولى إلى أهل كورنثوس نجد المكان الذي كُتبَ فيه: «ليوفِ الزوج زوجته حقها الواجب، وكذلك الزوجة حقَّ زوجها» ١كورنثوس٧: ٣. «إيفاء الحق» وهذا لا يعني أنكما قد اقترضتما مالاً من بعضكما والآن عليكما إيفاؤه بعضكم البعض. كلاّ، هنا يذهب الحديث عن الحاجة الجنسية بالتحديد، أي عن إيفاء الحق الجنسي لبعضكما البعض. ربما يعترض البعض على هذا قائلين: «آه يا أخ، ما هذا الذي تتحدث عنه؟». ففي إحدى المرات وصلتني رسالة تتساءل عن جرأتي بالتحدّث عن هذه المواضيع داخل الكنيسة، فأجبتهم: «أنا أقول ما يقوله بولس الرسول، إذاً تفضّلوا بجميع الأسئلة للرسول بولس، وشكراً». وقد قال لي أحدهم يوماً: «ربما يجب أن تتحدث عن هذه المواضيع مع المتزوجين فقط» فأجبته: «إذاً يجب أن يُكتب في مطلع هذه الرسالة: للمتزوجين فقط». في الحقيقة نحن نعاني من مشكلة ما، فعندنا كل شيء طبيعي هو غير أخلاقي، ونحن لا نمنح أطفالنا تربية جنسية، بل نتهرّب من تلك الأمور. هذا خطأ، فينبغي علينا أن نثقّف الطفل من الناحية الجنسية أيضاً، فهو بحاجة لذلك. وسنتحدّث عن ذلك الأمر بتفصيل أوسع في قسم «تربية الأطفال».

«لا سُلْطة للمرأة على جسدها، بل لزوجها. وكذلك أيضاً لا سُلْطة للزوج على جسده، بل لزوجتهِ» ١كورنثوس٧ :٤

يلعب الاكتفاء الجنسي دوراً هاماً في حياة البشر. غالباً ما أكرّر بأنّ الرجل والمرأة كائنان مختلفان تماماً، فعادةً تكون الحاجة الجنسية عند الرجل أقوى مِمّا منها عند المرأة، وكثيراً ما تحدث داخل الأسرة خلافات ومجادلات وحالات ثوران بسبب قيام أحد الزوجين بالرفع من شأنه دون معنى، بينما لا يتمكّنان من مصارحة بعضهما البعض في ذلك

الموضوع، وبعدها تزداد الأمور تعقيداً حيث يبدآن بالشجار من أجل مجرّد قلمٍ ساقطٍ على الأرض، دون أن يصارحا بعضهما البعض عن السبب الحقيقي لابتداء الخصام، والسبب الشائع والقائم وراء كل تلك الخلافات هو غياب العلاقة الجنسية المنتظمة، فكلمة الله تقول: «فلا يمنع أحدكما الآخَر عن نفسه إلاّ حين تتّفقان معاً على ذلك، ولفترة معينة، بقصد التفرّغ للصلاة. وبعد ذلك عودا إلى علاقتكما السابقة، لكي لا يجرّبكما الشيطان لعدم ضبط النفس» ١كورنثوس٧: ٥. كلمة الرب تقول: داوموا على الصلاة وقراءة الكلمة، ومن ثمّ عودوا إلى علاقتكم السابقة. عن أية علاقة يذهب الحديث؟ طبعاً عن العلاقة الجنسية، كي لا يجرّبكم الشيطان بسبب شهواتكم. أحبائي، إنّ كل الخطايا تتولّد من الرغبة والشهوة، وكلمة الرب تعلّمنا بأنّ الفراش الزوجي مقدَّس، وله مكانته في حياة الناس.

إذاً الاحتياج السادس هو الاكتفاء الجنسي، وعلى كلا الزوجين المحاولة لتأمين ذلك للآخَر، وهنا لاعلاقة لحال مزاجك بالأمر، فلو أعطينا أهمية بالغة للمشاكل وضغوطات الحياة اليومية، لكان علينا الهرب من بيوتنا أيضاً.

الاحتياج السابع هي الصراحة والنزاهة تجاه البعض. لقد قلتُ سابقاً بأنه يمكن للمرأة أن ترغب بباقة من الزهور، لكن لا تفصح عمّا في داخلها لزوجها، وإنما تجادل قائلةً: «أنت لا تحبّني»، فهي لا تملك الصراحة اللازمة لتقول للرجل: «أريد باقة زهور». وكذلك الرجل أيضاً يُخاصم زوجته لافتقاده للصراحة المطلوبة من أجل الإفصاح عن رغبته بالتحديد. فمثلاً يذهب الرجل إلى السوق ويشتري أكلةً ما ويأتي بها إلى المنزل، وعندما ترى زوجته ذلك تتذمّر قائلةً: «ما هذا الذي

اشتريته؟ أنا لا أُفضّله»، ولكن هذا لا يعني بأنّ الزوج أيضاً لا يُفضّله. فربما يرغب الزوج بتناول تلك الأكلة، ولكنّه لا يمتلك الصراحة الكافية ليقول لزوجته: «حبيبتي أنا اشتهيت هذا الطعام، وأريد أكله»، بل بدلاً من ذلك التصريح يبدأ بالثوران والصراخ. لذا فالصراحة أيضاً تحتلّ مكانةٍ هامة بين باقي الاحتياجات المذكورة. وأحياناً تقف الزوجة بملابس جديدة أمام زوجها لتأخذ رأيه، فينبهر بدوره قائلاً: «ياه، ماهذا الثوب الجميل!!»، ولكن تلك ليست صراحة إذا كان الثوب لا يُعجبك. فكثير من الرجال يفكّرون بهذه الطريقة: «إذا كنت صريحاً معها وأعلنتُ عن عدم إعجابي بالثوب الجديد، فعندها سأضطر لدفع مبلغ آخر لتشتري غيره». وبعد ذلك يكفّ عن النظر إلى زوجته بالرّداء الذي لا يُعجبه، بينما تلفت انتباهه نساء أخريات يرتدين ثياباً تعجبه.

في يوم من الأيام قاموا بإهداء زوجتي عطراً غالي الثمن، وقد كانت زوجتي حينها بحاجة لعطر جديد، وكان عليّ شراء واحدٍ لها. يمكن القول بأنه بإهدائهم العطر لزوجتي قد قدّموا منفعةً لي، فلم يعد واجبٌ عليّ شراء عطر لزوجتي. ولكن عندما قامت زوجتي بتجربة ذلك العطر، هل تعلمون ما الذي قلته؟ «لم أشتمَّ رائحةً سيّئةً كهذه في حياتي». فعلى الرغم من كون ذلك العطر هدية ورغم غلو ثمنه، إلا أنه يجب أن يعجبني أولاً. لم تستخدم زوجتي ذلك العطر أبداً، وطبعاً كنت مضطرّاً لشراء واحد جديد، ولكنّ المهم أنني كنت صريحاً معها، وهذا لصالحنا. وكذلك إذا لبستْ زوجتي ثوباً لايليق بها فأقول لها بكل صراحة بأنّ ذلك لا يُلائمها، وهي أيضاً بدورها تفصح لي عن أي شيء يخصّني بصراحة تامّة، فنحن نعلم بأننا صريحان مع بعضنا، وعندما أقول لها: «أنتِ رائعة الجمال اليوم»، هي تعلم بأنني لا أجاملها كعادةٍ مُتَّبعة، بل أقول لها الحقيقة، لأنه لو كان فيها أي شيء لايروقني حقاً، كطريقة تصفيف

الشعر مثلاً، فأنا أقول لها بكل صراحة. إن صراحتنا المتبادلة تمنحنا الإمكانية في الوثوق بكلام بعضنا وتصديقه. والآن إذا قرّرتَ أن تبدأ حياةً صريحةً مع زوجتكَ، فكن مستعدّاً للمعركة، لأنها ستقول لك: «ماذا تقول؟ كل تلك السنين وقد كان ذلك الثوب يُعجبك، والآن ما الذي جرى لك؟ فهل كنت تخدعني إذاً؟»، لذا كونوا مستعدين لتبدأوا من الصفر، واعلم بأن معاركك من أجل الصراحة العائلية يمكن أن تستمر لمدّة عام على الأقل، ولهذا السبب سيكون التأسيس الصحيح من البدء أسهل من معاودة البناء فيما بعد. ومن المهم أيضاً أن تفهم بأنك لن تتمكّن من القيام بكل ذلك في وسط عائلة عامّة تشمل الجدّ والجدّة وآخَرين، بل ستتمكّن من ذلك ضمن عائلتك الخاصّة فقط.

الاحتياج الثامن هو التفاني والإخلاص العائلي، وذلك عندما يقوم أفراد العائلة بوهب أنفسهم لبعض. هناك مفهوم سائد بأن الهديّة لا يجوز إرجاعها للمُهدي ولا يُمكن إهداؤها لآخَر. وكذلك في العائلة أيضاً، حيث تعلم الزوجة بأن زوجها هبةٌ لها، وليس «بقاذف بَرَدٍ على رأسها» بل هو هبة من الله. وكذلك أيضاً بالنسبة للزوج، فهو يعلم بأن زوجته هي هبة من الله له، ولا يجوز تجاهلها. علينا تطبيق هذا المفهوم في العائلة.

الاحتياج التاسع هو الشريك الجذاب، وهذا أيضاً يلعب دوراً هاماً في حياة الإنسان، فكما أنّه للإنسان احتياجات روحية فكذلك لديه احتياجات نفسية وجسدية وجمالية أيضاً. فعندما تنظر إلى شريك حياتك، ينبغي أن تشعر بلذّة جمالية، أي لذّة تتولّد لمجرّد نظرك إلى مظهره الأنيق. لذا فإنّ الاهتمام بنفسك ومظهركَ أمر ضروري جدّاً. لاينبغي لشريك حياتك أن يراك في وضعيّة المتشرّد داخل البيت. لنتذكر

سفر نشيد الأنشاد الذي كُتب فيه: «شفتاكِ تقطران شَهْداً أيتها العروس، وتحت لسانكِ عسل ولبن، ورائحة ثيابكِ كشذى لبنان». هكذا كان يصوِّر العاشق حبيبته المثالية. ولكن عندما تطلب اليوم من بعض الرجال أن يصوِّروا لك زوجاتهم، فيقولون: «حسناً سأصوِّرها لك، هي ترتدي ثوبها المنزلي الفضفاض ذات البقع الدائمة، وتفوح منها دائماً روائح الطبخ، وبإمكانك أن ترى بقايا الطعام بين أسنانها دائماً، كما أنّ شعرها مدهن غالب الوقت، وهي لاتستخدم الماكياج إلاّ نادراً جدّاً» ولايمكنه وصْف غير ذلك. ماذا يعني شريك حياة جذّاب؟ في إحدى الأيام أتت امرأة إليَّ وقالت: «زوجي لا يُبالي بي أبداً»، فسألتها: «ولكن ماذا تفعلين في سبيل لفْتِ انتباهه؟»، فردّتْ قائلةً: «ماذا بإمكاني أن أفعل؟ فأنا أطبخ وأغسل وأُنظِّف طوال النهار»، فقلت لها: «هل سبق لكِ يوماً أن ارتديتِ ثوباً جميلاً، وصفَّفْتِ شعرك، واتَّخَذتِ مظهراً أنيقاً، ومن ثم انتظرْتِ عودة زوجكِ لتستقبليه بوداعة ولطف؟» فنظرت إليّ مندهشةً وقالت: «ولكن لما كل هذا؟ فلا داعي للتمثيل»، يمتلك الإنسان احتياجاً خاصّاً وهو التمتّع بالجمال. كثير من النساء يلمنَ رجالهنّ قائلات: «أقوم بطبخ الطعام لك وأغسل ثيابك وأكويها، أما أنت فلا تلاحظني أبداً»، ولكن ما الذي يمنعكِ، إذا قمتِ أيضاً بارتداء ثوبك الذي يليق بك؟ لا شيء طبعاً. وأنا لا أفهم لماذا العديد من النساء يُرَدِّدنَ طوال الوقت قائلات: «أطبُخ وأنفُخ..أطبُخ وأنفُخ» هل تعلمون؟ أنا أيضاً أُحضّر الطعام أحياناً، وقد ابتكرتُ ثلاثة عشر صنفاً من المأكولات، ولو تطلَّب الأمر لكان بإمكاني أن أدخل في مسابقة لتحضير الطعام أيضاً، حيث أني أستطيع أن أُحضِّر أنواعاً مختلفة من السلطات في وقت قصير، وأحضِّر وجبات ساخنة أيضاً، ومن ثم أقوم بغسل الصحون، وهذا كله لايتطلب نهاراً بأكمله. إذاً على كل امرأة ألاّ تجعل من الطبخ والغسل عُذراً لعدم الاهتمام بالمظهر. وفي المقابل أيضاً هناك رجالٌ لايهتمون بأنفسهم

أبداً، فهم لايحلقون ذقونهم أو يقصّون شعورهم إلاّ من مناسبة لأُخرى، لذا فإن نساءهم لا يحصلنَ على لذّة التمتّع بجمالهم. إنّ مسألة الشريك الجذّاب هي حاجة وضرورة لا يُغنى عنها. يمكننا أن نشاهد أحياناً رجلاً ذقنه طويلة وشعره مليء بالقشرة، وويل إذا ما خلع أحذيته لتغيير جواربه، والتي ما كان ليغيّرها لولا إرغام زوجته له. أودّ أن أقص عليكم حادثةً جرت معي، ففي إحدى المرات كنت مسافراً على متن طائرة إلى موسكو، وقد كان ذلك مريعاً، حيث كان يجلس بجانبي رجل شبيه بالذي وصفته لكم، وقد كان أوّل ما قام به هو خلع حذائه، وعندها فاحت رائحة لم أكن قد شممتُ مثيلها أبداً، فتمالكتُ نفسي وناديت على المُضيفة وطلبتُ أن أغيِّر مكاني، فسألتني عن السبب، وبما أنّ ذلك الرجل كان بجانبي فلم يكن بمقدوري الإفصاح عن السبب وقلت: «ببساطة أنا أريد أن أجلس في مكان آخَر»، فأجابت بأنه لا يوجد مقعد خالٍ. وبعد فترة وجيزة أخذ ذلك الرجل يتفقّد أمتعته وأخرج دجاجةً مشويّة ووضعها أمامه ليبدأ بتناولها. في الحقيقة لست أفهم سبب إحضارهم لهذه الدجاجة معهم، ألا يمكنهم الاكتفاء بوجبة الرحلة! وأثناء تناوله للدجاجة سألني: «هل تأكل يا أخ؟». لقد امتزجت رائحة الدجاجة برائحة جواربه، وقد لاحظتُ أيضاً بأن شعر رأسه كان مدهناً ومليئاً بالقشرة. لقد أكل وشرب، بينما كنت أنا أحلم بانتهاء الرحلة. ربما تقول لي: «أنت على خطأ، فأنت لم تحاول تفهّم الوضع»، ولكن أنا كإنسان لديّ الحق بالاشمئزاز. وهكذا تابعنا الرحلة ويداه ملطّختان بالطعام وببقايا الدجاج تحت أظافره.. وهنا تُأخذ بالتفكير: «إلى أين تنظر زوجة هذا الرجل؟» هل هذا الرجل شريك جذّاب؟ وعندما أوشكنا على الوصول إلى موسكو، امتلأ هو فرحاً وأخذ يصرخ: «موسكو، موسكو..ها أنا آتٍ إليكِ. إنّ نساءكِ يفقدنَ عقولهنَّ من أجلنا». وعندها لم أحتمل بعد، وقلتُ له: «على فكرة، لا تنسَ أن تُقَدِّم لهنَّ بعضاً من ذلك الدجاج!!». في

الحقيقة إنّ وجود شريك حياة جذّاب، سيجذب الشريك الآخَر إلى المنزل حتماً. في عائلتنا، لا نهتمّ نحن بملابس الخارج فقط، بل نهتم بالملابس المنزلية أيضاً.

لقد ذكرتُ مراراً بأن الله قد خلق الرجل والمرأة بطبيعتين مختلفتين تماماً، وإذا قمنا بتوزيع الاحتياجات الطبيعية والعاطفية المذكورة ما بين الرجل والمرأة، فسنلاحظ بأن المرأة تسعى إلى خمسٍ منها، ويسعى الرجل إلى الخمسة الأُخرى. إنّ احتياجات المرأة هي التقارب والأُلفة والحوار والمعاشرة والأحاديث الممتعة والصريحة والتأمين المادّي والإخلاص والوفاء تجاهها، وارتباط الزوج بالعائلة والأطفال، والحب من قِبَله. أما احتياجات الرجل فهي العلاقة الجنسية واللهو والترف، وقرينة جذّابة وأجواء عائلية حارّة وحميمة، وكذلك الاحترام والإجلال تجاه نفسه. أظنّكم تلاحظون معي مدى الاختلاف بين الجنسين. وفي حال عدم استجابة الزوج لسعي المرأة إلى الأُلفة والتقارب معه، عندها ستلجأ الزوجة لإيجاد شخصٍ آخَر، وهذا لايعني بأنها ستجد عشيقاً لها، لا، فنحن نتحدث هنا عن المرأة التقيَّة، فتلك ستجد لها صديقة وفيّة وحميمة لتفتح لها قلبها، أو أنها ستلجأ إلى والدتها، لأنها بحاجة ماسة لوجود شخص تفصح له عما في داخلها. وبخصوص الحوار والنقاش، فهي ستلجأ لتحقيق ذلك مع الجيران. ستنال التأمين المادّي من زوجها أو ستوفّره بنفسها إذا ما كانت تعمل، وأما العلاقات المتبادلة التي سبق ذكرها فستجدها مع الآخرين. عندما يقوم الزوج بتسديد إحدى احتياجات زوجته فهذا لا يعني بأنه قد سدّد احتياجاتها كلها، فكثيراً ما يقول الأزواج: «أيّ نقصٍ تعاني زوجتي؟ فقد أمّنْتُها بالملبس والمأكل وبأشياء كثيرة»، فهو يريد الاستجابة لجميع الأمور بتأمين أمر واحد فقط وهو المادّة. وهذا يشبه إلى حدٍّ ما بأن يأتي أُناس أغنياء إلى

الكنيسة، ويُقدِّموا لله مبلغاً كبيراً من المال، ومن ثم يبتعدوا ليفعلوا ما يحلو لهم. كلاّ يا عزيزي، فالأمر ليس بتلك البساطة، فبقدر ما تعطي للكنيسة يجب أن تُصلِّي أيضاً.

عندما تشعر المرأة بغياب الإخلاص والتفاني من قِبَل زوجها، حينئذ تبدأ بإلزام أولادها على وهب أنفسهم لها. ربما لا تفعل ذلك عمْداً، ولكنّها ترغمهم بالتدريج على التضحية من أجلها. وهذا هو السبب الحقيقي الكامن وراء عدم سماح الوالدة لابنها بالعيش مع زوجته بعيداً عنها. وهذا النوع من الأنانية يصدر تلقائياً من العقل الباطن. فالأم قد أقنعت نفسها الآن بأنه هناك فرد آخر من العائلة، غَيْر زوجها، مَن هو مخلص ووفيّ لها، فهل تتصوّرون؟ إنّ ذلك الاعتقاد قد جفّف حتى دموعها التي سالت لعدم وفاء زوجها لها. لذا يكون من الصعب عليها أن تتنازل عن ابنها أو ابنتها بسهولة من أجل الزواج، وبمجرّد أن يتزوّج أحدهما تبدأ الأم بعمل المستحيل لإعادة الوضع كسابق عهده. ها قد رأيتم الآن من أين بدأت المشكلة. إنّ سبب المشكلة هو أن رأس العائلة قد تهرّبَ من تسديد حاجة زوجته، وجعلها تفتقر للوفاء والإخلاص اللذان وجدتهما في أولادها.

والآن دعونا نتمعّن في احتياجات الرجل. ففي رسالة الرسول بولس الأولى إلى أهل كورنثوس والأصحاح السابع، وفي الحديث عن العلاقة الجنسية، نُلاحظ بأن هذه العلاقة مهمّة جداً. الكثير من النساء يقلنَ: «آه، إن زوجي تركني ولحق بأخرى» ولكن بدلاً من أن تُشاركيه أنتِ العلاقة الجنسية كنت تعاقبينه قائلةً: «لا تمسّني، ابتعد عنّي، فأنت لا تقترب منّي إلا عندما تحتاجني»، ولهذا السبب وجد بديلةً عنك. تذكرنَ دائماً، إذا تمَّ إكفاء الرجل السليم من الناحية الجنسية، فلن يحاول البحث عن

امرأة أخرى أبداً. أما من يبحث عن امرأة أخرى، فهو الرجل الممتلئ بروح الزنى، فذلك الشخص يكون مختلاً من ناحية الأمور الجنسية، وعندها مهما كانت زوجته رائعةً وقادرةً على إكفائه جنسياً، فهو على حدٍّ سواء سيبحث عن امرأة أخرى.

وفيما يتعلّق بالترفيه واللعب تقول الزوجة: «أنا لست طفلة كي أجلس وألعب معه!»، ولهذا السبب لا ينقطع زوجكِ عن اللهو مع رفاقه في زقاقكم طوال النهار. إنّ جدّ المبشّر «ليسترِ سامرال» عندما أشرف على الموت في سن السادسة والثمانين من عمره، سأله سامرال قائلاً: «يا جدّي، إذا كان من الممكن تحقيق أمنية لك، فأية أمنية تتمنّى أن تتحقق؟»، فابتسم الجدّ وقال: «كنت أتمنى أن أقود دراجة ذو عجلة واحدة، ويقمن بنات الحي بالتفرّج عليّ». ها ذا لكم بالرجل. إن كل رجل هو طفل مخفي. وهكذا إذا كنتِ تَتُوقين إلى الأُلفة، ولكنك تتهربين من الجنس، فلن تكون لكِ أُلفةً مع زوجكِ. وإذا كنتِ تتوقين للعِشرة والمحادثة، ولكنكِ ترفضين اللعب، فلن تنالي ذلك. وأنتَ إذا كنتَ تريد اللعب، ولكنك لا ترغب بالعِشرة والمحادثة، فلن تنال ذلك أنت أيضاً. فكلّ تلك الأمور مرتبطة ببعضها البعض، ولهذا السبب تتناول الزوجة القهوة مع الجيران وتتناقش معهم، وأما الزوج فيلعب معهم ألعاباً مختلفة، بينما كان على الزوجين أن يقوما بكل ذلك سويّةً منذ البدء. شريك حياة صريح، نزيه وجذّاب: فإذا كنت تريدين أن يكون شريك حياتكِ صريحاً نزيهاً، فينبغي أن تكوني جذّابة. وإذا كنتَ تريد أن تكون شريكتك جذّابة، فكن نزيهاً وصريحاً معها. فإذا كنتَ نزيهاً تجاه زوجتكَ وأخبرتها بكلِّ صراحة عن الّذي يليق ولا يليق بها، فعندها ستكون شريكةٌ جذابة من أجلكَ، أيضاً أمران مرتبطان ببعضهما. هل ترغب بأجواء دافئة وملائمة في عائلتك؟ إذاً قم بتأمينها ماديّاً. هل تريدين مورداً ماليّاً كافياً؟ إذاً

قومي بتأمين أجواء دافئة وملائمة في عائلتكِ. وأيضاً أمران مرتبطان ببعضهما. هل تفتقد للاحترام والإجلال أيها الزوج العزيز؟ إذاً كن وفيّاً ومخلصاً لزوجتكَ، وهب نفسك لها ولعائلتك، فعندها فقط تقوم زوجتك باحترامكَ وإجلالك. هل تتمنّين أن يهب زوجكِ نفسه لكِ ويكون وفياً؟ قومي باحترامه وإجلاله إذاً. نحن عندما نقول عائلة، يجب أن نتصور كائنان بشريان، رجل وامرأة منصهران معاً تمام الانصهار لدرجة التحوّل إلى واحد. إنّ عملية الانصهار تلك ضرورية جداً. فنحن لدينا طباع مختلفة، وأكرّر مرة أخرى بأن الله هو من وزّع تلك الطباع فيما بيننا، لذا علينا أن نخدم بعضنا البعض بطباعنا. ماذا تعني كلمة «حُب»؟ أي أنكَ عندما تحب أحداً فإنكَ تُضحّي بنفسك من أجله. ليس هناك زواج كامل أو مثالي، والسبب هو عدم وجود إنسان كامل. فإذا اكتمل الإنسان، اكتمل الزواج أيضاً.

إذا أردْتَ أن تحلّ يوماً مشكلة شخص ما، فليس عليك أن تدقّق في المشكلة بحدِّ ذاتها، وإنما عليك أن ترجع إلى البداية تماماً. فعندما يأتي الناس ليقصّوا ماحدث، هم يتكلمون عن القسم الأخير فقط من حياتهم، فمثلاً نسمع: «زوجي يأتي ويصرخ في وجهي ويصفعني»، ذلك هو القسم الأخير. وكذلك نسمع: «إن زوجتي في جنون دائم. أنا غير قادر على دخول ذلك المنزل بعد الآن»، وهذا هو القسم الأخير أيضاً.

في يوم من الأيام جاء إليَّ رجل مع زوجته بهدف استشارتي في موضوع ما، فقمتُ بالاستماع إليهما، كلّ واحد على انفراد. لقد كان الاثنان يعرضان الواقعة ذاتها، ولكن كل واحد من وجهة نظره. فعندما تستمع للزوجة، يثور غضبك على الزوج لدرجة أن تمسكه وترشقه بالرصاص حالاً. وإذا استمعتَ إلى الزوج، كنت ستُستَفزُّ من الزوجة

لدرجة أن تسكب البنزين عليها وتحرقها. بالاستماع إلى كليهما أدركتُ مدى البغض والحقد الذي يحملاه تجاه بعضهما البعض. وبدأت بالتحدّث إليهما، فقلتُ: «تعالوا الآن لنغضَّ النظر عمّا حدث بينكما مؤخّراً، ولنرجع إلى البداية. كيف حدث وتزوجتما؟». ابتسمت الزوجة فجأة وقالت: «كنّا ندرس في الجامعة نفسها، كنّا مُغرَمين ببعضنا البعض». ثم سألتُ الرجل: «هل كنت تحبّها فعلاً؟»، فأجاب: «نعم»، وعندها قلت له: «أتساءل كيف أنك تقدّمتَ إليها لأول مرة لتعترف بحبِّكَ لها، فهذا مثير حقاً». فضحكا، ثم بدأت الزوجة بالكلام: «كان ذلك يوماً ممطراً ورائعاً. عندما نزلتُ من الباص رأيته واقفاً بانتظاري وهو مبتلٌّ تماماً، وفي يده باقة ورد جميلة، ثم اقترب وهمس لي: أنا أحبكِ. وسلَّمني الورود»، فقلت: «إذاً في البداية لم تكن لديكما مشكلة. ثمّ كيف تزوجتما؟»، فقالت الزوجة: «عندما أتت أُسرته لخطبتي رفض والدي الأمر، لكنني قلت لوالدي بأنه إذا لم يوافق فسأهرب معه، ويا ليتني لم أُعارض أبي آنذاك. وبعد ذلك تزوّجنا، وأقمنا عرساً كبيراً»، ثم سألتها: «وهل سافرتم بعد الزواج إلى أي مكان لقضاء شهر العسل؟»، فأجابت: «نعم، لقد سافرنا إلى روسيا وأمضينا وقتاً رائعاً في بطرسبورغ»، ثم سألتُ الزوجة: «وعندما رجعتما إلى البيت، هل لاحظتِ بأنّ زوجك رجل سيّء كما تُصرّين الآن؟»، فقالت: «كلاّ، هو في تلك الأيام كان إنساناً رائعاً». ثم سألتُ الزوج: «هل كانت زوجتك في ذلك الوقت تُجنُّ ثمّ تذهب وتجعل منكَ فضيحةً أمام الجيران؟»، فقال: «لم تكن هكذا في الماضي»، ثمّ سألتهما: «ماذا فعلتما عندما رُزقتما بالطفل الأول؟» فروا لي أيضاً ماحدث، وهكذا سألتُ وسألتُ وجئتُ بالتسلسل حتى وصلتُ تدريجياً إلى موقع المشكلة. لقد وجدنا نقطة الخلاف قابعةً في السنة الثانية عشرة من زواجهما. إذاً فمن المهمّ جداً أن تقود المتخاصمين إلى نقطة انبثاق المشكلة، ومن ثمّ تقوم بحلّ تلك المشكلة هناك. فنحن في الكثير من

الأحيان نُخطئ، عندما نحاول حلّ المشكلة عند نقطة النهاية، سواءً كان ذلك الأمر في عائلتنا أو لدى غيرنا.

إذا لم تقم اليوم بحلّ مشكلة الدمعة الواحدة التي تسيل من عين زوجتك، فإنّك ستُضطرّ لحلّ مشكلة سَيلٍ من الدموع في المستقبل. لذا فعلينا الانتباه لتلك الدمعة الواحدة وإلغاء مصدرها. ربما تقول: «يمكن أن تكون تلك الدمعة نتيجةً لأسبابٍ تافهة»، ولكن عليك أن تحلّ مسألة تلك الأسباب التافهة أولاً. عندما لا يفهم أفراد العائلة بعضهم البعض، يبررون موقفهم قائلين: «نحن نعاني من مشكلة في التفاهم معاً». إنّ كلمة مشكلة هي مفهوم واسع جداً، فعندما تقولون «مشكلة» ماذا تفهمون؟ إنّ لكلّ مشكلة اسم، لذا قوموا أولاً بإيجاد اسم مشكلتكم، ومن ثم قوموا بحلها.

(5)

الفصول الأربعة في العائلة

لدى العائلة أربعة فصول، وأول فصل يُدعى الربيع، ربيع الحب، ربيع الزواج. ويدوم هذا الفصل من سنتين إلى خمس سنوات، وهو موسم انتظارٍ ورجاء، حيث أنك ستنتظر وتترقَّب الثمار، لترى على أيِّ ثمرٍ ستحصد. وتُزهِر الأشجار في الربيع، وفي نفس الوقت تنكشف أمور كثيرة.. فأنت الآن في صدمة، وهذا ما يُسمى بربيع الزواج، فأنتم حتى مرحلة الزواج كنتم كلّكم كبراعم، ولكن بعد الزواج فقط، يبدأ الربيع، وتُزهر الأشجار. «ياه، ما هذا؟ ما هذه الطباع الغريبة؟». أهلاً بكم في فصل الربيع. لم تلاحظوا أموراً كثيرة في الماضي، وفجأةً تنكشف كلها، وهذا ربيع ومدته محدودة، وهو فترة زرعٍ أيضاً، ففي الربيع يزرعون دائماً.

والفصل الثاني هو فصل الصيف، ويستمر هذا الموسم حتى يصبح عمر الطفل الأول اثني عشر عاماً، وهو مرحلة العمل الدؤوب. ففي هذا الوقت المهم يجب أن تعطي الكثير لطفلك، حيث عليك تأمين مستقبله بمنحه التعليم اللازم، والأشياء الضرورية الأخرى. وفي هذه الفترة يبذل الآباء والأمهات قصارى جهدهم لتعليم أطفالهم أشياء مختلفة، فيسرعون معهم إلى المدرسة، ومن ثم إلى العزف، وبعدها إلى الرسم، وأخيراً إلى دروس الكمبيوتر. ويكون الجميع في حالة ركضٍ مستمر. لكن للأسف فإن الكثير من الآباء والأمهات لا يعملون بجدّ في هذه المرحلة العائلية المسمّاة بالصيف، وبعد فترة يكتشفون بأن طفلهم لم يعد في استعداد تام للتعلم كما كان سابقاً، ويذكرون كلمات الأنشودة التي تقول:

«وصيفٌ لم تعمل فيه، فأخبرني ما كان السبب؟». لابد من العمل صيفاً، ربما تقول: «آه، أنا متعب جداً». اعلَم يا عزيزي أنه بعد وقت وجيز سيُقبِل الشتاء، وسيكون لديك وقتاً كافياً للراحة. أنا لديّ أطفال أيضاً، وإذا لم أقم بالعمل معهم الآن، فلن يكون باستطاعتي الإيداع فيهم بعد سن الثانية عشر، بل إنني سأرى بعد تلك السنّ نتيجةَ ما زرعْت. إذاً فعليك بالعمل حتى بلوغ طفلك سن الثانية عشرة، أي ما قبل سن المراهقة، ولكم هو ضروري عملك هذا!

وهكذا في الربيع نزرع بذوراً سليمة، وذلك بالتفوّه بعبارات صحيحة، ونُقدِّم آراء ومقترحات صحيحة في العائلة. في أحيان كثيرة أسمع من نساء في سنّ الخمسين يقلن لأزواجهن: «ها أنا ذا قد بدأتُ جديداً بفهم طباعك». فياللعجب، كنتِ معه ثلاثين عاماً، وأمضيتما أياماً كثيرة معاً، لكنكِ إلى الآن مازلتِ في الربيع.. فمن المُلام هنا؟

وبعد ذلك يبدأ الخريف، وهذه هي العائلة التي تمتلك أطفالاً دخلوا سن المراهقة. ويبدأ المراهق بالنضوج أكثر فأكثر، وقد آن الأوان كي تبدأ بلمس طلائع الثمار التي تمّ زرعها فيه حتى سن الثانية عشرة. وتدوم فترة الخريف من عشر سنوات إلى اثنتي عشرة سنة، وفي هذه الفترة يجب على الزوجين أن يتَّحدا معاً أكثر من أي وقت مضىً ليتمكّنا من الوقوف في وجه أطفالهما، لأن الأطفال في هذه المرحلة يكونون في حالة من العصيان والتمرّد، حيث يبدأون بمعارضة أبويهم في أمور كثيرة. فمثلاً إذا قام أحد الوالدين بالدفاع عن ابنه أثناء معاقبة الطرف الآخر له، فإن ذلك سيؤدّي إلى تفكك العائلة في المستقبل القريب، وهذا سيكون ثمر العمل في الربيع والصيف. إن الطفل لا يتحول بالصدفة إلى مدمنٍ للمخدرات أو مجرم، بل إن سبب ذلك التحول يعود إلى أيام طفولته

عندما كان والداه يمسكان بيده ويقولان له: «هيا اشتم هذا الشخص» ويضحكون. ذلك كان عملهم في الربيع، وأما في الصيف هل تعلمون ماذا كانوا يفعلون؟ عندما كان ابنهم يضرب أحد الأطفال، كانوا يقولون له: «نعم، أحسنت، هكذا بالضبط.. فما أن يتفوّه أحد ضدّك بكلمة، حطِّم رأسه». وفي الخريف عندما يحلُّ ابنهم في السجن، تصيبهم أزمة قلبية. وهنا يتكرّر السؤال: «وصَيفٌ لم تعمل فيه، فأخبرني ما كان السبب؟» ونجد بأننا نحصد فعلاً ما قد زرعناه. وعلى الزوجين أن يمسكا بيديّ بعضهما بقوة حتى يتمكنا من مواجهة كل تلك المصاعب. وهنا أريد أن أُشدِّد الانتباه حول أهمية تشجيع ورفع ومواساة الزوجين لبعضهما البعض، حيث أنه ستصادفهما مفاجآت كثيرة في هذه الفترة.

عندما يتوب الشباب ويأتون إلى نور الإيمان، يقوم الله بفعل ما لم يفعلوه أهاليهم، فحياة الجميع كانت مُخرَّبة، لكنّ الله بإنجيل الحياة يُعيد إلينا الربيع، ثم يأتي بالصيف ويعمل معنا وفينا، وبعدها يأتيان الخريف والشتاء.

المرحلة الزمنية الرابعة في العائلة تُدعى شتاءً، فالأبناء والبنات غير موجودين الآن، حيث أنهم قد تزوّجوا ويعملون الآن على تأسيس حياتهم الخاصة. وأنتما الأبوان لوحدكما الآن، ومن المهم هنا أن تكونا كصديقين حميمين لبعض، حيث عليكما قضاء فصل الشتاء سويَّةً. إنّ والديَّ يتواجدان الآن في فصل الشتاء، وذلك سيدوم طويلاً، أي بقدر ما تبقى لهما من العيش على وجه الأرض. أنا الآن في فصل الصيف، وأنا وزوجتي وأولادي نعمل معاً، ولا يحقُّ لي الخلط بين الصيف والشتاء. قال لي أحد الأشخاص يوماً: «أنا أريد أن أنتقل مع عائلتي إلى بيت أهلي ونعيش كلنا مع بعضنا البعض». هل تعلمون ماذا سيحدث لو مزجتم

الشتاء والصيف والربيع معاً؟ ستحصلون على شهر متقلِّبٍ جدّاً كشهر شباط أو آذار مثلاً. فإذا كنت تريد أن يهيمن على عائلتك شهر آذار بشكل دائم، فتذكَّر ما قيل عن شهر آذار: «آذار، شهر العواصف والأمطار». فلو أحببتَ أن يدوم هذا الجو في عائلتك: أي أن تضحكون في يومٍ مشمس، وتهينون بعضكم البعض بغضب في يوم آخَر عاصِف، إذاً اجتمعوا وأمضوا حياتكم معاً، وسيبقى شهر آذار عندكم إلى الأبد. ولكن لو أردنا أن تكون لدينا عائلة ناجحة، فلا يجب علينا جمع الفصول كلّها ودمجها معاً في مكان واحد، لأنه حينها سيكون الشتاء قد جاء من أجل والديك، بينما ستكون أنت في الصيف وعليك العمل خلاله. فوالداك الآن في فصل الشتاء، وهما يريدان أن يقدّما محبتهما لأحفادهما ويُدَلِّلوهم، بينما في فصل الصيف عليك أن تقسو على أطفالك وتُربّيهم. فوالداك لايمتلكان الحق في القيام بذلك، فهما يُلاعبان أحفادهما، أما أنت فلك كل الحق لتقسو على أطفالك، أي على أحفادهم بالذات، فأنت في فصل الصيف، فصل العمل والتربية. عادةً عندما يعود أطفالي من بيت جدّهم، لا يأكلون الطعام الذي حضّرناه ذلك اليوم، لأنهم قد اعتادوا على تناول الصنف الذي يطلبونه حسب مزاجهم، وأما في بيتنا فالأمر مختلف تماماً. وأنا أفكر بهذا الشكل: «أنتم جئتم من منزلٍ خيَّم فيه الشتاء، حيث عشتم مرتاحين وحسب أهوائكم، لكن في بيتنا مازال الصيف قائماً، وعلينا تربيتكم خلاله». إذاً أيها الوالدان العزيزان، حاولا الابتعاد عن الجد والجدة أثناء ممارستكما الشدة على أطفالكما، لأنكما ستُسبِّبان الألم للجدّين عندما تقومان بذلك أثناء حضورهما، فعائلتكما مازالت في الصيف، بينما قد هيمن الشتاء في حياة أهاليكما. كانت والدتي تدافع كثيراً عن أطفالي في الآونة الأخيرة، فقلت لها: «أنا لا أفهم لماذا كنتِ تضربينني حينما كنت صغيراً من أجل نفس الأخطاء التي يرتكبها أولادي، بينما تقومين بالدفاع عنهم وحمايتهم الآن! فما سبب هذا

التمييز؟»، فأجابت والدتي: «هم مازالوا صغاراً بعد»، فسألتها: «هل وُلدتُ أنا كبيراً؟». لذا أيها الأحباء لا تمزجوا الأمور ببعضها، فنحن نتكلم عن الشتاء.

مكتوب في الكتاب المقدس: «لأنّ لهما أُجرةً لتعبهما الصالح» جامعة ٤:٩. ففي الشتاء نحن ننعم بأجرتنا، فكل ما فعلناه في الربيع والصيف والخريف سنحصد أجره في الشتاء.

كثير من الناس يُمضون شتاءهم منبوذين، ولمعرفة السبب لابدّ من الرجوع إلى نقطة البداية، حيث يختبئ السبب إما في الربيع أو الصيف أو الخريف. ولكن بإمكانك معاودة بناء كل شيء، إذا تُبتَ من أجل الربيع الذي هدرتَه، ومن أجل الصيف والخريف اللّذَين أمضيتهما من دون عمل. إن الجيل الحالي الكبير في بلدنا غير مذنب، لأن الشيوعية كانت قد ألغت مفهوم «العائلة»، وحرّمت قراءة الكتاب المقدس حتى لايعلم الناس كيفية تأسيس أُسَرهم، ولهذا السبب خسر الكثيرون ما كان يجب الحفاظ عليه، ولكن الله قادر على استرداد كل شيء مسلوب.

«لأنه إذا سقط أحدُهُما يُنهُضُه الآخَر. ولكن ويلٌ لمن هو وحيد، لأنه إن سقط فلا مُسعِف له على النهوض، كذلك إن رقد اثنان معاً يدفآن، أما الراقد وحده فكيف يدفأ؟» جامعة ٤: ١٠–١٢.

وهذه هي العائلة الحقيقية، فالأزواج الشباب يمهدون معاً لحياتهم الشتوية. فنحن نقوم بتحضير المؤونة في الصيف والخريف، ولكن هناك من يَصلون إلى الشتاء ومن ثم يريدون تحضير المؤونة، فمثلاً يتذمّر الأهل قائلين: «لماذا يتصرف أولاد الآخرين بلطف مع أهلهم، بينما لا

تبالي أنت بنا حتى؟»، فالمؤونة لا تُحضَّر في الشتاء. إنّ عائلتنا ستنهار لو لم نُقسِّمها إلى فصول. تمعّن بالأمر جيّداً، واكتشف في أي فصل تتواجد الآن، فلو كنت قد تأخرت في أمر ما، فلا تيأس، لأنه بإمكانك الرجوع والبدء مجدّداً، لأن الرب سيكون معك ويباركك.

أودّ أن نعالج قليلاً موضوع الطلاق أيضاً. إنّ الطلاق ليس مشيئة الله، وقد سمح الله بالطلاق في حالة الزنى فقط، فالزواج هو نَذرٌ، وعندما تفسخ زواجك فإنك تفسخ نذركَ أيضاً، والله لا يشاء أن نفسخ نذورنا. وقد تكلّم الرسول بولس في الرسالة إلى أهل كورنثوس عن حالة أخرى للانفصال، وذلك عندما يكون أحد الزوجين غير مؤمن ولا يقبل بالرب يسوع. وفي هذه الحالة يجب أن ينفصل ويبتعد الجانب غير المؤمن عن الجانب المؤمن إذا شاء. في أحد الأيام أتت إليَّ امرأة مؤمنة وقالت لي: «أنا أريد الانفصال عن زوجي»، فسألتها: «لماذا؟ هل هو يخونكِ؟». فقالت: «أنا لا أمتلكُ أدلّة كافية عن ذلك، ولكن من يعلم! ربما هو يفعل ذلك»، وقلتُ لها: «أنا يجب أن أفهم هل أنتِ متأكدة من خيانته لكِ أم لا؟»، فقالت: «كلا، يبدو أنه لا يخونني»، فسألتها: «إذاً لماذا تريدين الانفصال عنه؟» فقالت: «هو يعارضُ إيماني مراراً، وأنا لم أعد أحتمل العيش معه»، ثم ذكرَتْ ما جاء في الأصحاح السابع من رسالة كورنثوس، وقالت: «الرسول بولس قد سمح بذلك، فقلت لها: «كلا، الرسول بولس لم يسمح لكِ بذلك، بل سمح لزوجكِ أن ينفصل عنكِ»، فمكتوبٌ بأنَّه إن فارق غير المؤمن، فليفارق... أي أنه هو الذي سيذهب عنكِ، ولن تستطيعي أنتِ فعل شيء. ولكن عليكم أن تبذلوا قصارى جهدكم من أجل الحفاظ على العائلة. وطبعاً لو كنتَ منفصلاً قبل التوبة والإيمان، فبإمكانك أن تبدأ حياة جديدة الآن.

مكتوب في ملاخي ٢: ١٥: «لهذا حافِظوا على أرواحكم، ولا يغدُر أحدكم بزوجة صباه» فالله يبغض الانفصال والطلاق. وتقول كلمة الله أيضاً: «فأَثبِتوا لهم إذن أمام الكنائس برهان محبّتكم وصواب افتخارنا بكم» ٢كورنثوس٨: ٢٤.

إذاً ينبغي عليك ألاّ تُظهِر طلاقك للعالم، فلا تثر استغراب الناس بعملية طلاقك، وإنما أثيروا استغراب الناس بمحبتكم لبعض.

(6)

خدمة الرجل في العائلة

الزوج هو رأس البيت، وهذه حقيقة.

يجب أن يتسلَّط الزوج على بيته كما ورد في تكوين٣: ١٦.

إنّ الله قد أعطى هذه الوصيّة لآدم، وعندما سأل الله آدم عن عدم حفظه للوصيّة، قام آدم بالتهرّب من المسؤوليّة، وأضاع بذلك رجولته.

إنّ الرجل الحقيقي يجب أن يتحمّل مسؤولية أعماله، فلو كان آدم قد قال: «أيها الرب الإله سامحني»، لكان الله قد سامحهُ وبدأ آدم حياة جديدة، لكنّه بدلاً عن ذلك، ألقى باللّوم على امرأته وعلى الله قائلاً: «المرأة الّتي أعطيتني إيّاها أنت، عرضت عليّ تلك الثمرة المحرّمة»، فمِن أسهل الأمور على الإطلاق إلقاء الذّنب على الآخرين!

الرجل هو رأس العائلة، وهو مِثْل قائد الفرقة الموسيقية، كيفما يُحرّك عصاه الصغيرة، فعلى أفراد عائلته أن يعزفوا.

نقرأ في رسالة الرسول بولس إلى أهل أفسس ما يأتي: «ليخضع بعضكم لبعض إجلالاً للمسيح» أفسس٥: ٢١.

نلاحظ في هذه الوصية أن الله يوصي النساء بالخضوع لأزواجهن، وكما يوصي الرجال أيضاً بالخضوع لزوجاتهم.

تعالوا لنلقي الضوء على كلمة متسلِّط أولاً. ماذا يعني أن يكون الرجل متسلطاً؟ الرجل المتسلّط هو من يقتدي بمثله الأعلى الرب يسوع المسيح، والرب يسوع لا يتنازل عن مكانته لأحدٍ أبداً.

ما هي خدمة الرجل الرئيسية؟ وعلى أيّ شيء يتسلّط هو؟

إنّ خدمة الرجل الرئيسية هي أن يكون أباً في عائلته. إنّ نسبة تسعين بالمئة من المدمنين للمخدّرات والزناة والشاذّين جنسيّاً هم ثمرة الحرمان من الأبوّة.

عندما توفّي والد استالين، رقصا هو ووالدته من الفرح، لأنهما كانا يعيشان مع دكتاتور في المنزل، وليس مع أب. وموسوليني الّذي وضع أسس الفاشيّة في إيطاليا، كان يكره أباه بشكل كبير، لأنّه لم يعش طفولته كما ينبغي، فعندما كان والده يبقى في البيت، كان يتحدث عن الأحزاب فقط، حيث كان مولعاً بالسياسة، وهي كانت المسألة الوحيدة التي تهمّه داخل المنزل وخارجه، لذا كان موسوليني ضحيّةَ الحرمان من الأبوّة، ففقدان الأبوّة هو أمر رهيب للغاية.

في العائلة، عندما يختفي دور الأب المتسلِّط، ستحاول الأم احتلال ذلك المنصب، فتأخذ زمام الأمور والمبادرة بين يديها.

لنذكر الآن بعض الواجبات الأساسية لرأس العائلة، الرجل:

١) يجب على الرجل أن يتسلّط على المشكلة:

عندما تظهر مشاكل مختلفة في العائلة، فعلى الزوج أن يبادر بتحمّل المسؤولية والإمساك بمِقْوَد حلّ المشكلة.

وهذه المشاكل يجب أن تُحَلّ بقوة كلمة الله، لذا على الرجل أن يعرف كلمة الله جيداً، كي يتمكن من إخراج عائلته من كل أزمة وضيق. ينبغي علينا قهر المشاكل بطاعة الله، وليس بالشجار والصراخ، فالجدال يُضيف على المشكلة مشكلة أخرى.

٢) يجب على الرجل أن يتسلَّط على المرض:

يحمل الرجل مسحةً مقدّسةً خارقة من الله لشفاء المرضى بالإيمان عندما يُصاب أحد أفراد عائلته بمرضٍ ما. قال الرب يسوع له المجد: «تضعون أيديكم على المرضى فيُشفون»، وفي هذا الصدد أريد أن أعطيكم شهادة عن عائلتي. قبل عدّة سنين بدأتْ ابنتي تنحف ويشحب لونها تدريجيّاً، فأخذناها أنا وزوجتي إلى الطبيب، فأجرى لها تحاليلاً خاصّة، ثم قال بأنّها تعاني من مشكلة في الكلى. وفي المساء أطلَعْتُ ابنتي على ما تعانيه، وأضَفتُ بأنّ الربّ يسوع قادر على شفائها، فقالت لي بأنّها تؤمن بذلك، وهي ترغب بأن نصلّي من أجل شفائها. فوضعنا أيدينا على ابنتنا، ومسحناها بالزيت الذي باركناه باسم يسوع، وصلّينا من أجلها. وفي الصباح أخذناها إلى التحليل مرة أخرى، وقد أثبتت نتائج التحاليل بأنّ ابنتنا معافاة تماماً، وهكذا نرى مدى السلطان الذي يمتلكه رب الأسرة عندما يأخذ على عاتقه قيادة الصلاة.

٣) يجب على الرجل أن يتسلَّط على ظروف العائلة كافةً:

على الرجل أن يُمسك بمِقْوَد التحكّم بالعائلة بيديه. يمكن لكلّ عائلة أن تقع في ظروف مختلفة، وقد منح الله الرجل، كرأسٍ للأسرة، سلطاناً على حلّ الظروف العصيبة.

مثلاً عندما يُعقد في المدرسة اجتماعاً لأولياء أمور الطلاب، يقول الأب لزوجته: «اذهبي وتدبَّري مشاكل ابنكِ»، فهو لا يشاء سماع كلام يزعجه (هذا طبعاً عندما يعاني الطفل من مشاكل في المدرسة). بحسب كلمة الله فإنّ المرأة إناء ضعيف، ويجب التعامل معها بلطف ورِقّة، لذا لايجب أن يُحمِّل الرجل زوجته أعباءً ومسؤوليّاتٍ تفوق طاقتها.

ومثالٌ آخر: يسمع الزوج رنين الهاتف، وبمعرفته سلفاً بأنّ المتّصل سيطلبه ويناقشه عن مشكلةٍ معيّنة، يقول لزوجته: «ارفعي السمّاعة وأجيبي. قولي بأنني لست في البيت، أو أيّ شيء آخر». تذكّر بأنّه يجب عليك أن تتحمّل مسؤولية جميع أعمالك، ولا تحاول أن تُرغم زوجتك على الكذب. لقد أعطى الله الرجل سلطاناً على حلّ جميع المشاكل العائليّة، وأمّا المرأة فهي منوطة بدَوْر المعين فقط. لاتكن سيّداً أثناء الظروف الحسنة فقط، بل تسلّط على الظروف السيئة أيضاً.

٤) يجب على الرجل أن يتسلَّط بشكلٍ يجلب الازدهار والرفاهية لعائلته:

يحلم الرجل أحياناً أحلاماً ورديّة، فهو يحلم مثلاً بعملٍ قليل ومال وفير. وفي أوقاتٍ كثيرة تكون محفظة نقوده فارغة، لكنّه يتكلم كمن يستطيع شراء مصنع كامل، بينما الواقع يُثبت أمراً مختلفاً على الإطلاق. ففي الصباح قبل موعد استيقاظه بساعة، تكون زوجته قد استيقظت وأخذت الأطفال إلى المدرسة، ثمّ تعود وتنظّف المنزل، وتحضّر طعام الغداء، لتتمكّن من الذهاب إلى العمل وبالها مطمئن. وبعد انتهاء عملها تعود إلى المنزل وتهتمّ بأطفالها وتُدرِّسهم، ثمّ تقوم بغسل الصحون والملابس. وفي المساء تخلد للنوم لاستقبال يوم جديد حافل بالمتاعب.

في حينٍ يكون الزوج طوال ذلك الوقت برفقة أصحابه، يتناول الطعام ويدخّن السجائر، ويتفوّه بعبارات مُفعمة بالكبرياء والتفاخر، أو يكون مستلقياً أمام التلفاز ويقوم بإصدار الأوامر فقط.

والآن من هو المدبِّر الحقيقي لشؤون هذه العائلة؟ طبعاً الزوجة. ولكن من هو الزوج؟ الزوج يتحدّث عن ملايين اللّيرات، لكنّ زوجته هي من تشتري له السجائر. ورجل كهذا، لو نزعوا زوجته من حياته، لتحوّل إلى متشرّد عاطل. هذا رجل أضاع منزلته وفقد سلطانه، وأظنُّ أنّه على رجل كهذا أن يدع أحلامه الورديّة جانباً، ويقوم بواجباته هو بدلاً من زوجته.

الرجل يجب أن يُصلِّي من أجل إيجاد العمل، ويبحث عنه جيّداً. فإذا لم يكن لدى المرءِ عمل، فإنّ عمله الحالي هو البحث عن عمل.

أنا لست ضدّاً لأن تعمل المرأة أيضاً، حيث يمكن للزوجين توحيد دَخْلهما وصرفه سويّةً، فهما صديقين. وإنه لأمرٌ طبيعيّ أيضاً أن تقوم الزوجة بالعمل بدلاً عن زوجها عندما يفقد هو بدوره عمله السابق، ويدوم ذلك الوضع إلى أن يجد الزوج عملاً آخر. فيجب أن تسود الصداقة التامّة بين الزوجين. أنا أُعارض الرجل الّذي يحفظ نفسه بعيداً عن الازدهار المادّي لعائلته.

إنّ الرجل ممسوح من الله من أجل تحقيق الازدهار والرفاهية في عائلته، ولهذا ينبغي عليه اتّخاذ قرارٍ والسير باتجاهه، وحينئذٍ سيعينه الله بشكل خارق، وسيمدّه بالقوّة اللاَّزمة لقهر المصاعب.

٥) الرجل يتسلَّط على الشيطان:

لقد نصب الله الرجل رأساً على بيته، وعندما يفقد الرأس مكانته، تعمّ الفوضى في العائلة. فهناك من يُدعى إبليس، أيّ الشرُّ الّذي يتهجّم على العائلات. ومِن واجب الرجل المتسلِّط أن يهيمن بشكلٍ يمنع إبليس من دخول بيته (هذه أمور روحية).

إنّ مهمّة الزوج هي تقييد قوى الشيطان.

وإذا كان الرجل يجهل مدى سلطانه على الشيطان، فمن المؤكّد أنّه لن يتمكّن من طرده خارجاً.

«كيفَ يستطيعُ أحد أن يدخلَ بيتَ القوي وينهب أمتعتهُ، إن لم يربط القوي أوّلاً، وحينئذٍ ينهبُ بيتَهُ؟» متّى ١٢: ٢٩.

كلمة الله تقول بأنّه لا أحد يستطيع أن يدخل بيت القوي وينهبه، ما لم يقم بتقييد القويّ أولاً. فالشيطان يقوم على خداع سيّد الأسرة أوّلاً، ثم يُقيِّده ويدخل بيته. إذاً لن يتمكّن إبليس أبداً من نهب المنزل وإلحاق الضرر بأهله ما لم يقيّد أولاً جبّار العائلة. ولو نهض الرجل وسدّ الطريق في وجه إبليس، فلن يتمكن إبليس من الدخول أبداً. إنّ خدمة الرجل هي طرد إبليس من بيته.

«عبرْتُ بحقل الكسلان وبكَرْم الرجل الناقص الفهم، وإذا بالشَّوك قد كساه، والعوسجُ قد غطى كلّ أرضه، وجدار حجارتهِ قد انهار. فاعتبر قلبي بما شاهدْت، وتلقّنتُ درساً ممّا رأيت: نومٌ قليل بعد

نعاس قليل، وطيِّ اليدين قليلاً للرُّقود، فيأتي فقْركَ كعدّاءٍ وعوْزكَ كغانٍ» أمثال ٢٤ : ٣٠-٣٤.

إنّ جدار الحجارة هي حمايتنا الروحية، أي حماية الملائكة لنا، والّتي تتحقّق عن طريق صلواتنا.

هناك حالات يكون فيها كلّ شيء موجود في المنزل من مأكولات وأمتعة، لكن عندما يدخل ربّ الأسرة إلى البيت لا يُلاقي السلام المتوقَّع، حيث الجميع مهمومون والجوّ متوتّر. فالجدار الحجري مهدوم، والشيطان يتجوّل على راحته في كلّ أركان المنزل، ويفكّر الجميع قائلين: «لقد دعوا علينا بالشر.. هناك حجاب معمول ضدّنا..» فالمرض لايبرح المنزل، والموت يهدّد الكثيرين، والجميع في حيرة لايدرون ما يفعلوه. إنّ إبليس يأتي بهدف النهب والإبادة، ومن واجب الزوج أن يؤمن بالرب يسوع المسيح، وأن يحمل سلطانه الروحي الممنوح له ويدخل إلى غرفته ويبدأ بالصلاة قائلاً: «باسم الرب يسوع المسيح أطردك أيُّها الشيطان من بيتي». وبطرد إبليس من العائلة، يتمّ الحفاظ على الجدار الحجري، الّذي هو حماية الملائكة للعائلة.

ويجب على الرجل أن يُصلّي من أجل زوجته وأولاده، فالله قد وهب الرجل صوتاً قويّاً ليصرخ به في وجه إبليس، وليس في وجه زوجته وأطفاله، حيث أنّ الشيطان يرتاب من صوت صلاة الرجل.

قم بدُعاء ملكوت الربّ إلى بيتك دائماً، وسيكون لكم سلام وفرح وبِر في الروح القدس، فهذه هي خدمة المتسلِّط في بيته.

وتذكَّر بأنّ كلّ شيء تطلبه في صلاتك ستراه في عائلتك عمّا قريب.

قم ببناء جدار روحي منيع حول عائلتك، وستملأ السعادة بيتك.

٦) الزوج هو كاهن العائلة:

من واجب الزوج، ككاهنٍ للعائلة، تحقيق سرّ القربان المقدّس (المناولة) في المنزل. قال أحد العظماء مرّةً: «ليست شلاّلات نياجرا أعظم أعجوبة في العالم، بل الأعجوبة الأعظم هي عندما يقرأ الأب الكتاب المقّدس بصوتٍ مسموع، ويَجلسُ أطفاله و زوجته مستمعين إليه».

إنّ الرب يسوع يحقّق عملاً كهنوتيّاً عظيماً في حياتنا، ويمكننا القول بأنّ العائلة هي بمثابة كنيسة صغيرة، فهي كنيستك، وأنت راعيها. وبحسب كلمة الله، فإنَّ الرجل غير القادرعلى الخدمة في أسرته ككاهن، لا يمكن له أن يخدم في الكنيسة. أي أنّه إذا لم ينجح في رعاية كنيسته الصغيرة، فكيف له أن ينجح في رعاية كنيسةٍ كبيرة؟

٧) الزوج هو طبيب العائلة، فهو يُشفي قلب زوجته المحطَّم وقلوب أطفاله:

إذا ما انكسر قلب الزوجة، فتذكّروا بأنّ الزمن لا يتكفَّل بشفائه. بل الزوج فقط هو من يحمل المسحة المقدسة لشفاء قلب زوجته المنكسِر، لأنَّ داخل الزوج يكمن كلام قوي قادر على شفاء قلب الزوجة المحطَّم،

وقلوب باقي أفراد الأسرة أيضاً. إنّ الرجل قادر على إعادة تشييد البنيان النفسي المنهار لدى زوجته.

بحسب كلمة الله الحية، الكنيسة هي العروس والرب يسوع هو العريس، إذاً تعالوا نتشبّه بالمسيح، فعندما ينكسر قلب الكنيسة، فمن الذي يُشفيه في تلك الأوقات الحرجة؟ أو عندما تكون الكنيسة في مأزقٍ ما، فما الذي يحدث؟ تأتي فجأة كلمة من الله على شكل نبوءة، وتجعل الكنيسة قادرة على النهوض واسترجاع قواها. يجب على الرجل أن يفعل الشيء ذاته في عائلته.

«واشتهى أخلاطُ الأمم المقيمين بين بني إسرائيل، ممّن خرجوا معهم من مصر، طعام مصر، فعاد بنو إسرائيل يبكون قائلين: من يطعمنا لحماً؟» عدد١١: ٤.

وهنا نرى كيف أنّ الرجال رفعوا أصواتهم ودعوا الله وهم يبكون. إنّ صوت الرجل الصارخ نحو السماء مهمٌّ جدّاً بالنسبة لله. إنّ دموع الرجل تُستجاب، فالرجل يجب أن يتحمّل مسؤولية كلّ ظرف تمرّ به عائلته.

يمكن للرجل والمرأة أن يتزوّجا ويعيشا معاً، ولكن لا يكونا كزوجين حقيقيّين، فالزوج يجب أن يحترم زوجته ويرفع من شأنها. والعلاقة الزوجيّة الأقوى على الإطلاق هي عندما يتمكن الزوج من دخول قلب زوجته، وكذلك الزوجة قلب زوجها، وحينها سيتمكّنان من التعرّف على بعضهما البعض من الداخل.

في بعض الأحيان تقول المرأة لزوجها: «ليتك تفهمني ولو لساعة

واحدة». تقول المرأة هذا الكلام لأن نظرتها مختلفة للأمور، بينما تسمع إجابات مختلفة من شريك حياتها الذي لايفهمها.

لقد وهب الله كلّ رجل حكمةً خارقةً لفهم زوجته، لأنّه إذا فهمها فسيتمكَّن من مساعدتها. وإذا ساعدها، فسينجح في معالجة قلبها المنكسر، وحالما يُشفى قلب الزوجة، ستتحوّل حياة الرجل حينها إلى فردوس.

أعتقد بأنَّه قد أصبح الآن مفهوماً وبشكل جليّ ما تعنيه كلمة «متسلِّط»، وما تعنيه عبارة «ليتسلَّط الرجل على بيته».

بدون شك، إنَّ التسلُّط بهذه المعاني المميّزة سيثير إعجاب المرأة والأطفال تجاه الرجل، فهناك فرق كبير بين السلطان والجلّاد في العائلة.

إذا كنتِ متزوجة، وتقرأين هذه السطور، ولاحَظْتِ أنّ هذه المشاكل موجودة في أُسرتكِ، فلا تديني زوجكِ، لأنّكِ بإدانتك له لن تغّيريه. وتذكري بأنّ زوجك هو رأس عائلتكِ، وليس لكِ الحق في احتقاره ولو في ذهنك، بل من الأفضل أن تطلبي تدخَّل الرب في حياته، فصلّي من أجله حتّى تنفتح عينيه ليتعرَّف على الله جيّداً، بغضِّ النظر أكان مؤمناً أم لا. ومن الأفضل الآن أن تتقدَّمي في القراءة لتتعرّفي أيضاً على خدمة المرأة في العائلة.

(7)

خدمة المرأة في العائلة

بفضل الرب يسوع المسيح ارتفع شأن المرأة في العائلة والكنيسة. فقبل المسيحية، كانت المرأة مُهانةً في كلِّ المجتمعات تقريباً، لكن بعد المسيحية فقط، ارتفع اعتبار المرأة.

نقرأ في رسالة غلاطية أنَّ الرسول بولس يعلن في كل آسيا: «نحن جميعاً معمَّدون بروح الله، ولايوجد بيننا رجل وامرأة، فقد أعطى الله نفس الروح الممجَّدة للرجل والمرأة». وقد كان إعلانٌ كهذا في ذلك الزمان يحمل طابعاً ومدلولا انقلابيّاً، وقد وجد هذا الإعلان مكانه في الإنجيل ليدعم دور المرأة في المجتمع. لذا يمكننا القول أنَّه بهذا الإعلان قد رجعت المرأة إلى جنَّة عدن.

في الحقب الزمنية القديمة، وحتى قبل عهد الإمبراطورية الرومانية، كان عمر المرأة يُحسب منذ يوم زواجها. وفي اليونان قديماً كانت المرأة لاتحمل أي لقب أو انتماء للعائلة حتى تتزوج، فقد كانت حقوق المرأة مُداسةً دائماً. وقد كان هناك صراع مستمر بين الرجل والمرأة، لأنَّ الرجل كان يحاول دائماً الحفاظ على المرأة ضمن إطار المطبخ أو الأمور المعيشية فقط، وبدورها كانت المرأة تحاول مراراً ترسيخ مكانتها في المجتمع من خلال إثباتها للرجل بأنه لايستطيع العيش من دونها، وهذا الصراع مايزال قائماً إلى اليوم، فالنساء في كل أنحاء العالم يبذلن جهدهن للإثبات للعالم بأنَّهنَّ مساويات للرجال في كل شيء، بينما يرفض الرجال ذلك. ونحن بدورنا يجب أن نضع حدّاً لهذه الحرب

البـاردة بين الـرجـل والمرأة، لأن هـذه الحرب أصـبـحت سـبـبـاً لانسلال خيوط الكراهية بين كلا الجنسين.

بحسب الكتاب المقدس فالرجل والمرأة قد خُلِقا لبعضهما البعض.

من هي المرأة؟ ولأيّ شيء خُلقت؟ وما هو دورها الحقيقي في حياة الرجل؟

«فأوقع الرب الإله سباتاً على آدمَ فنامَ، فأخذَ واحدةً مِن أضلاعهِ وملأ مكانها لحمًا. وبنى الربُ الإلهُ الضلعَ التي أخذهَا من آدمَ امرأةً وأحضرها الى آدمَ» تكوين ٢: ٢١–٢٢.

لقد خُلق آدم كاملاً، ولكن بعد خَلْق حوّاء فَقَدَ آدم شيئاً، وقد كان ذلك الشيء ضلعه. وكلمة ضلع في اللغة العبرية تعني «عمود، دعامة» وهذا يعني أن الله قد رفع أحد أعمدة آدم، وجعل من ذلك العمود أساساً لبناء الكائن الجديد، أي ليخلق حواء.

من هو بحاجة للآخَر في الحقيقة؟ الرجل أم المرأة؟ والجواب هو أنَّ كليهما بحاجة للآخر، لأن ما يوجد في الرجل هو مفقود في المرأة، وما يوجد في المرأة فهو مفقود في الرجل. فآدم قد حُرم من شيء، بينما اكتسبت حواء شيئاً، وهذه حقيقة. فمثلاً عندما تُقدِّم باقة ورود للرجل، فأنت لا تُسعده بقدر السعادة التي ستشعر بها المرأة عندما تُقدَّم لها تلك الباقة، والأمر بكل بساطة هو أنّ الرجل قد حُرم من الرغبة بالزهور، لكن المرأة اكتسبت ذلك.

إنّ المرأة والرجل يُكمِّلان بعضهما البعض، فما يمتلكه الرجل لا

تمتلكه المرأة، وما تمتلكه المرأة لايمتلكه هو، لذا فإنّ كليهما بحاجة ماسّة لبعضهما البعض. والآن تعالوا لنناقش الوضع الذي كانا فيه أوّل إنسانين خُلِقا.

«هذا كتابُ مواليد آدمَ، يومَ خلقَ اللهُ الإنسانَ. علَى شبهِ اللهِ عَمِلهُ. ذكراً وأنثى خلقهُ، وباركهُ ودَعا اسمَهُ آدمَ يومَ خُلِق» تكوين ٥: ١–٢.

كان اسم كليهما آدم، وكلمة آدم تعني إنسان، أي كان اسم كليهما إنسان، وكان لكليهما مكانتين متساويتين، وكما نعلم أن اسم حوّاء جاء بعد الخطيئة، وبعد الخطيئة تغيّرت المكانتان، لكنهما مازالا بحاجةٍ لبعضهما البعض.

«حكمةُ المرأةِ تبني بيتَها، وحماقتها تهدمه بيديها» أمثال١٤: ١

إنّ المرأة الحكيمة تبني دارها، أمّا المرأة الجاهلة فتهدمه. من خلال هذه الآية نرى مجدّداً أنّ المرأة لاتحتلّ مرتبة ضعيفة في الحياة العائليّة، بل على العكس هي تلعب دوراً رئيسيّاً فيها.

«ثم قال الرب الإله: ليس من المستحسن أن يبقى آدم وحيداً. سأصنع له مُعيناً نظيره» تكوين٢: ١٨.

خُلقت المرأة كمعينة لزوجها الرجل، لذا علينا أن نفهم أولاً ما تعنيه كلمة معين. المعين ليس بالعبد، وقد حان الوقت منذ زمن بعيد ليفهم الناس في العالم ما تعنيه عبارات الكتاب المقدّس مثل: «المرأة معينة الرجل».

فمثلاً عندما تذهب لتلتقي بأحد الرؤساء، ويقول لك السكرتير أن الرئيس غير موجود الآن، لكن بإمكانك أن تلتقي مع مساعده، فماذا ستتخيّل؟ هل ستظنّ أنّ مساعد الرئيس سيقف أمامك بصدرية الخادم وهو مشغول في تحضير شيء ما؟ طبعاً لا، بل إنّك ستقابل شخصاً يرتدي ملابساً أنيقة كملابس الرئيس، وستُكلِّمه بهيبة ووقار، وهو سيجيب على كل أسئلتك بطريقة مهذّبة ولائقة، تماماً كما كان سيفعل الرئيس شخصياً. وهكذا عندما نتكلم عن مساعد الرجل، فمن نتصور إذاً؟ تذكروا أن المرأة هي المعينة الوحيدة التي وهبها الله للرجل.

«وباركهُمُ اللهُ وقالَ لهُم: أَثمِرُوا وتكاثروا واملأوا الأرضَ وأَخضِعوهَا. وتَسلَّطوا عَلَى سَمكِ البحِرِ وعلى طير السماءِ وعلى كُلِّ حيوانٍ يَدبّ على الأرضِ» تكوين ١: ٢٨.

وبهذه الآية أعطى الرب الإله السلطان نفسه لكليهما، حيث أنّ الوصية موجّهة لكليهما. فالمرأة والرجل نالا نفس السلطان، وهما كانا مباركَيْن بنِعَم الرب، وقد مُنِحا المرتبة نفسها:

١- أَثمِروا
٢- تكاثروا
٣- املأوا الأرض
٤- أَخضِعوا الأرض وتسلّطوا.

فكان السلطان ذاته ممنوحاً لهما بالتساوي، وهكذا كان الله يرى خدمة المرأة منذ البدء.

وباعتبار المرأة مسؤولة عن العائلة فلديها خدمة أيضاً.

١- من خدمات المرأة مساعدة الرجل في تحقيق أحلامه:

تعالوا نرى معاً هذا المثال: كان يحلم الزوج منذ صغره أن يمتلك

سيارة، فيروي لزوجته ما يحلم به، لكن ما يحدث في بعض الأحيان أنَّ المرأة تُعارض فوراً أحلام الرجل بشكل قاطع، وتبدي بآراء وإجابات معاكسة لتلك الأحلام دون أن تفكر لوهلة بأنّ زوجها يُفصِح لها عن الأمور التي حلم بها طوال أيّام حياته. وعندما يتلقّى الرجل هذه الاستجابة المهينة لأحلامه، يُمكن له أن ينغلق ضد زوجته إلى الأبد، فيبدأ بالبحث عن صديق آخر ممن يحترم أحلامه ويقدِّرها. إذاً إحدى خدمات المرأة في العائلة هي مساعدة الرجل في تحقيق أحلامه.

أودّ أن أروي لكم قصة حقيقية عن رجل جمع مبلغاً من المال لشراء سيارة حلم بها طوال عمره، لكن عندما تحدّث إلى زوجته عن ذلك الموضوع، عارضته فوراً دون تفكير. طبعاً هو لم يشترِ السيارة، ومبلغ المال الذي كان قد وفَّره، صُرِف كله. والآن عندما نتحدث مع الزوج نراه قد فقد ثقته تماماً نحو زوجته، وهو في الأيام المقبلة لن يستشيرها في أي موضوع على الإطلاق.

ولكن لماذا من المهم أن يحقق الرجل أحلامه بمساعدة المرأة؟ لأن المرأة ستساعد زوجها بنفس الشكل في الوصول إلى دعوته التي دعاه الله إليها. ففي الكتاب المقدس نرى نساءً ساعدن أزواجهن في الوصول إلى حلمهم ودعوتهم الربّانية، ويمكن أن نطلق على تلك النساء لقب الدافعات إلى الأمام، ومن بين تلك النساء «صفورة» زوجة النبي موسى و«سارة» زوجة إبراهيم.

«وبالإيمان لبّى إبراهيم دعوة الله، فترك وطنه وانطلق إلى أرضٍ أخرى وعَدَهُ الله بأن يُورِّثَهُ إيّاها. ولمّا خرج من بيته كان لا يعرف أين يتوجّه. وبالإيمان كان يرحل كالغريب من مكان إلى آخَر في

الأرض التي وعَدَهُ الله بها، وكأنها أرضٌ غريبةٌ. وكان يسكن في الخيام مع إسحاق ويعقوب، شريكَيْهِ في إرث الوعد عينِهِ. فإنّه كان ينتظر الانتقال إلى المدينة السماويّة ذات الأُسس الثابتة، التي مهندسها وبانيها هو الله. وبالإيمان أيضاً نالت سارة زوجة إبراهيم قُدرةً على الإنجاب، فولدت ابناً مع أنّها كانت قد جاوزت سنّ الحمل. وذلك لأنها آمنت بأنّ الله، الذي وعَدَها بذلك، لابُدَّ أن يُحقِّق وعدَهُ. وهكذا وُلِدَ من إبراهيم، وقد كان ميّتاً من حيث القُدرة على الإنجاب شعبٌ كبيرٌ كنجوم الفضاء عدداً، وكالرملِ الّذي على شَطِّ البحر لا يُحصى» عبرانيين ١١: ٨–١٢.

يذهب الحديث في البدء عن نوايا إبراهيم، وعن الوعد الذي ناله من الله، وأما في الآية الحادية عشرة يتمّ ذكر إيمان سارة، فهي ولدت طفلاً بالإيمان وحققت حلم إبراهيم. في حين كانت زوجة الملك داود تنتقده، وكيف انتهت سيرة تلك العائلة؟ طبعاً انتهت بالانهيار.

كوني امرأةً تساعد زوجها في الوصول إلى حلمه ودعوته الربّانية.

أنا أتحدَّث هنا عن الأحلام السليمة والمعقولة طبعاً، وليس عن الأحلام الخرافية والمستحيلة. لكن كيف يمكننا أن نميِّز بين الأحلام والآمال الصحيحة التي يمكن للإنسان أن يصل إليها؟ تذكَّروا أن الحلم الصحيح ينبع دائماً من القلب وليس من الفكر، وفي القلب يسكن دوماً حلمان أو ثلاثة أحلام أساسية، والذين بعد تحقيقهم تتغير أشياء كثيرة. وهناك أيضاً أناس لا يمتلكون في قلوبهم أيّ حلم، وفي مثل هذه الحالة يجب على المرأة أن تُصلِّي كي ينال زوجها حلماً ودعوة من الله.

٢–المرأة شريكة الرجل في العمل:

يجب أن تساعد المرأة زوجها في العمل، فمن أجل خلْق المرأة أخذ الله أحد أضلاع الرجل، وعلى ذلك الأساس خلَقَ المرأة. ويمكن أن نتساءل لماذا اختار الله عظم الضلع بالتحديد؟ أعتقد أنّ سبب ذلك يعود إلى أنّ الضلع هو أقرب جزء إلى قلب الرجل. نعم، إنَّ الله أخذ المرأة من قرب قلب الرجل، وليس من قرب دماغه. وهذا يجعل مسكن المرأة قلب الرجل، وليس عقله. لذا يجب على المرأة أن تؤانس قلب الرجل، وألا تؤثِّر طوال الوقت على دماغه.

في بعض الأحيان لا تسكن المرأة قلب الرجل بعد الزواج، بل تجعل مسكنها عقله، وهكذا تتحوّل إلى منبِّه أو مؤثِّر مستمرّ على دماغ الرجل. وبسبب عدم تواجد تلك النساء في مواضعهنّ الصحيحة، فإنَّ عائلاتهن تنهار. افهمنَ جيداً، إنَّ الرجال يشعرون بالفراغ دائماً في ناحية قلوبهم وليس في عقولهم، حيث أن عقولهم قد بقيت كما هي، لأنَّ الله لم ينزع أي شيء من تلك الجوار. إنّ الرجل بحاجة للدعم في منطقة قلبه، لأن خلْق المرأة قد سبَّب فراغاً في تلك الناحية.

تعالوا لنبحث الآن بعض الأمثلة من الحياة. يقوم الزوج بالتبضّع، ثم يعود مرهقاً من السوق، وعند دخوله إلى المنزل تتفحّص زوجته مشترياته، وتبدأ بالشكوى فوراً، في الوقت الذي كان بإمكانها أثناءه التعبير عن اعتراضها بهدوء، وتقوم بتناول وترتيب ما أحضره الزوج بلطف.

كانت إحدى النساء تشكو من زوجها مُدَّعية بأنَّه لا يُهديها أزهاراً على

الإطلاق. وقد اكتشفَتْ في إحدى الأيام أنّ زوجها يقيم علاقة مع امرأة أخرى، حيث كان يُقدِّم لها الأزهار بشكل دائم. لقد أثار هذا الأمر استغرابي كثيراً، فقد كان الزوج يمتلك الذوق والمقدرة على شراء الأزهار، ولكنّه كان يُقدّمها لامرأة أخرى. وعندما استقصيتُ حول الموضوع، استنتجتُ أن الزوجة لم تكن تحاول احتلال أيّ مكانٍ في قلب زوجها، حيث كانت تستهزئ به وتحتقره طوال الوقت، فهي قد ثبَّتت نفسها على دماغ الرجل. وبما أنّ قلب زوجها بقي فارغاً، ظل يبحث عمن يملأ ذلك الفراغ.

شيء مريع ومؤسف، عندما يحتلْنَ الزانيات قلوب الأزواج، وهنَّ ينجحن في ذلك الأمر لأنّهنَّ لا يوفِّرنَ أيّ مجهود في سبيل تحقيق أحلام الرجال.

طبعاً أنا أعارض بشكلٍ قطعي كل زوج يخون امرأته ويتّخذ عشيقة له، أو هؤلاء الذين لا يتمكّنون من الحفاظ على تماسك عائلاتهم، فيتهرّبون ويقومون بتكوين عائلة جديدة. إنَّ الرجل الحقيقي هو من يقهر جميع العوائق حفاظاً على وجود عائلته.

في إحدى الأيام كانت تُبَثُّ مقابلة تلفزيونيّة مع إحدى النساء اللواتي "يتاجرن بأجسادهن". وقد ذكرت تلك المرأة أثناء حديثها أنّ الأغنياء الذين يدفعون لها مبالغ كبيرة، لا يفعلون ذلك طلباً للجنس دائماً، بل هم يأتون إليها بغاية الاستمتاع بالحديث وتبادل العبارات الحميمة، فهم بحاجة لشخص يشاركهم مشاكلهم وأحلامهم. وقد ختمت كلامها بالقول: «أنا أتصرف مع أولئك الرجال المتزوجين بنفس الطريقة التي كان على زوجاتهم أن يتصرّفوا بها معهم».

إنّ مهمّة المرأة وخدمتها هي الوقوف إلى جانب زوجها ومساعدته، ولا يجب عليها أن تتنازل عن مكانتها لأخرى. كما يجب على الرجل أن يَعلم أنّ زوجته قادرة على مساعدته بأفكارها ونصائحها.

٣- يجب على المرأة أن تُطيع زوجها:

«خاضعين بعضكم لبعض في مخافة الله» أفسس٥: ٢١.

إنّ كلمة خضوع تُقابلها في اليونانية كلمة «أوباتوس»، وهذه الكلمة لها ثلاث معانٍ هي:

أ) يجب على المرأة أن تضبط مكانتها بجانب الرجل.

ب) أن تقبل زوجها كشخصيّة ذو هيبة ووقار، وتحترم كلامه، وتُعطي لأقواله ثقلاً وأهمّية.

ج) يجب أن تُخضِع المرأة نفسها لزوجها.

الخضوع أمر وضعه الله في المرأة، وكل امرأة عليها أن تسعى بجدّ للقيام بمهمتها.

هناك خاصّية معينة في طبيعة المرأة تدفعها للقبول بزوجها كسيّد لها، وعلى ذلك الأساس ستقوم بتنسيق وضبط مكانتها بجانبه والخضوع له. وهذا هو نفس الموقف الذي تتخذه الكنيسة تجاه المسيح.

«أيُّها النساء، اخضعن لرجالكنَّ، كما للرب» أفسس٥: ٢٢

أعطى الله هذه الوصية للمرأة حَصْراً، فلم يُكتب هنا: «أيها الرجال أَخْضِعوا زوجاتكم لكم» لا، وبالتأكيد لا. إنَّ هذه الوصية تخصُّ المرأة فقط، لأن المرأة لو لم تشأ أن تَخضَع للرجل بملء إرادتها، فلن يكون بمقدور أحد إخضاعها له، سواءً كان ذلك زوجها أو أهل زوجها أو أيّاً كان.

طبعاً هناك من يقول بأنّه تمكّن من إخضاع زوجته له عن طريق القوة والغَضْب، ولهذا أودّ أن أروي لكم قصة تتعلّق بهذا الأمر. قام أحد أصدقائي مرّةً بأمر ابنه بالجلوس. ولكنّ الطفل كان يمتنع عن الجلوس غير مبالٍ بكلام والده، ثم رفع الأب صوته وأمر ابنه بالجلوس فوراً، فجلس الطفل من شدّة خوفه، وأخذ ينظر إلى والده ويقول: «أنا الآن جالس، ولكن أريدك أن تعلم بأنّني مازلت واقفاً في داخلي». إذاً، فإنك عن طريق القوّة ستتوصّل إلى هذا النوع فقط من الخضوع. وأمّا الخضوع الحقيقي الذي تطرَّقتْ إليه كلمة الله، فيمكن التوصُّل إليه عندما تقوم المرأة بإخضاع نفسها لزوجها بملء إرادتها.

«أيُّها النساء، اخضعن لرجالكنَّ كما يليق في الرب» كولوسي٣: ١٨

وفي مكان آخر مكتوب: «كما للرب».
«أيُّها النساء، اخضعن لرجالكنَّ كما للرب» أفسس ٥: ٢٢

كما يجب الانتباه إلى عبارة «اخضعي لزوجكِ» أي ليس لباقي الأشخاص، بل لزوجكِ.

ومن المهم أيضاً في هذا الموضوع أنّه بأيّ شكلٍ تخضعين أنت للرب. فلو كنت تخضعين للرب بكلّ سرور وفرح، فعليك الخضوع لزوجك أيضاً بنفس الشكل.

«ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك النساء لرجالهن في كل شيء» **أفسس ٥: ٢٤.**

نعم في كل شيء، ولكن طبعاً إذا كانت آراؤه وأقواله ضمن الحدود الإلهية والخُلقية.

كَسْب الرجل بسلوك أُنثوي.

«كذلك أيتها الزوجات، اخضعنَ لأزواجكنَّ، حتّى وإن كان الزوج غير مؤمن بالكلمة، تجذِبُهُ زوجَتُهُ إلى الإيمان، بتصرّفها اللائق دون كلام، وذلك حين يُلاحظ سلوكها الطاهر ووقارَها» **١بطرس٣: ١.**

يُعلِّم الكتاب المقدس النساء كيف يكسبن أزواجهن من دون كلام.

تقول كلمة الله أنّ بيتاً صغيراً يعمٌّ فيه السلام خير من بيت كبير مع امرأة تُحب الشجار. هناك نساء غير مسالمات، لو لم يتشاجرن مع أزواجهن، يَخرجن للشجار مع الجيران. فماذا تظنون؟ كيف سيتكلم الناس عن تلك المرأة وعن سلوكها؟ هل سيقولون بأنها امرأة لطيفة وأنثويّة؟ بالطبع لا، سيتكلّمون عنها أشياء فظيعة، لأنها قد فقدت طبيعتها الأنثويّة.

الأنوثة هي أداة لكسب الزوج من خلال الوداعة واللطف. نقرأ في

الكتاب المقدس أنَّ الملكة أستير قد انتصرت بأنوثتها، فالسلوك لا علاقة له باللسان أو الجسد، السلوك هو جوهر الإنسان.

«وعلى المرأة ألاّ تعتمد الزينة الخارجية لإظهار جمالها، بضَفْرِ الشعر والتحلّي بالذهب ولبس الثياب الفاخرة. وإنما لتعتمد الزينة الداخلية، ليكون قلبُها متزيّناً بروح الوداعة والهدوء» ١بطرس٣:٣-٤

بعض الطوائف الدينيّة انطلاقاً من هذه الآية تمنع نساءها من التزيّن، في حين أنه يمكن أن تكون لهذه الآية دلالة أخرى. فالوصيّة تُعلّم النساء ألاّ يحاولن كسب أزواجهن بزينتهن وجمالهن، لأن هذا يعني إغراؤهم، والذي لن يدوم طويلاً. إنّ الكتاب المقدّس يتحدث عن الكَسْب الأبدي.

وفقاً للآية التي تم ذكرها أعلاه يجب على المرأة أن تكون وديعة وهادئة بكيانها، وهذه هي الأنوثة، والتي لا علاقة لها بالجمال الخارجي. فهناك الكثير من الفتيات الجميلات اللواتي لا أنوثة لديهن، فالجمال والأنوثة مفهومان مختلفان. والعالم برمّته اليوم يسير خلف الجمال، فهم يظنون أنَّ الجمال هو الأنوثة.

هناك ما يُدعى بأدبيّات التصرّف لدى النساء. قديماً كانوا يُشدّدون الانتباه على حركات المرأة وكيفية جلوسها، أما اليوم فالكثير من الفتيات يؤْمِنَّ بأنهنَّ أحرار في كل شيء، وأصبحن بطريقة جلوسهنّ ونهوضهنّ يقلدن الرجال تماماً، ولا يعرنَ أهمية لطريقة كلامهنّ ونبرات أصواتهن.

يجب على المرأة أن تجد الأنوثة المعطاة لها من الله، كما يجب على

الرجل أيضاً أن يجد الرجولة المعطاة له من الله، وعندها ستترتب جميع الأمور في مكانها الصحيح.

«لأنّ الله دعاكم إلى الاشتراك في هذا النوع من الآلام. فالمسيح الذي تألّم لأجلكم هو القدوة التي تقتدون بها، فسيروا على آثار خطواته» ١بطرس٢: ٢١.

كان هناك رجلٌ ملحد أصبح فيما بعد من عظماء الإيمان المسيحي. وقد أثارت قصة توبته دهشة الكثيرين. لقد كان هذا الرجل يضطهد زوجته بشدّة وبشكل متواصل، وذلك بسبب إيمانها بالرب يسوع. فقد كان يمنعها من الذهاب إلى الكنيسة والأمور الأخرى. وفي إحدى الأيام تمكنت الزوجة من الذهاب إلى الكنيسة خلسةً، فعلم الزوج بالأمر وقام بإقفال باب المنزل عِقاباً لها. وعندما عادت الزوجة من الكنيسة، وجدت الباب مقفلاً، وقد كانت يومها تُمطِر بغزارة. وفي الصباح عندما فتح الزوج الباب ليذهب إلى عمله، وجد زوجته جالسة على عتبة الباب، وهي حينما رأته نهضت فوراً وقالت له: «لن تذهب إلى أي مكان دون أن أُعدّ لك طعام الإفطار» وعندها تهشّم قلب الرجل من تصرّف زوجته المؤثر، وركع على عتبة الباب وسلِّم حياته للرب يسوع وتاب. وفي المستقبل أصبح من كبار الواعظين بالكلمة. وهذا ما يدعى: «الكَسْب بسلوكٍ أنثوي».

وأنتَ عندما تقرأ هذا الكتاب وتنظر إلى وضع عائلتك المضطّرب، فلا تقل: «إنّ عائلتي في اختلال تام، وهي تعاني من هذه المشكلة وتلك..» أتعرف؟ عليك أن تمتلك طريقة تفكير جديدة، ومن الأفضل أن تقول: «أشكرك أيها الرب الإله، لأنك أعطيتني من خلال هذا الكتاب فرصةً من

أجل معاودة تشييد بنيان عائلتي» وهذا يشبه أن يكون لديك منزل قديم جدرانه متّسخة ومشقّقة، وأرضيته أيضاً غير صالحة، وكل شيء فيه رديء، ثم تدخل منزلاً آخر يماثل منزلك من حيث التصميم، لكنه فخم وجميل، فحينئذٍ تقول: «ياه، ياللروعة. كم أنا مسرور لرؤيتي أنّه كيف بإمكاني أن أجعل بيتي، وحالما يتوفّر لدي المال، سأُجدِّد منزلي بهذا الشكل».

فنحن عندما نقرأ هذه المواضيع فإنّ ذلك لايعني أنَّ الله يُعلِّمنا تلك الأشياء حتّى يرمينا في هاوية اليأس قائلاً: «أُنظر كيف تكون العائلة! وأما عائلتك... فيا للشفقة» كلا، إنّ الله يُرينا الطريق الصحيح كي نبادر العمل مجدداً في بناء عائلاتنا، لذا فإن هذه فرصة كبرى لإعادة النظر في بنيان عائلاتنا وتصليح خللها.

وبهذه الآية أريد أن أنهي موضوع خدمة النساء في عائلاتهن:

«المرأة الفاضلة تاجٌ لزوجها، أمّا جالبة الخِزْيِ فكنَخْرٍ في عظامه»
أمثال١٢: ٤.

إنّ كلمة الله تقول بأن المرأة الفاضلة هي تاجٌ لزوجها، أما المرأة الجالبة للعار فهي كمن تنخر في عظامه. وأنا أؤمن أن بنات الله يجب أن يكنَّ فاضلات. وهكذا فإن العائلة هي آليّة فريدة يتواجد فيها النظام والتنسيق. وكلمة الله الحية هي التي تحافظ على العائلة وعلى النظام فيها، وتُعلِّمنا كيفية إيجاد حياة سعيدة داخل منازلنا.

(8)

تربيـــة الأطفـــــال

لقد تحدّثنا عن الاختيار والزواج وعن خدمة الرجل والمرأة. ولكنكم تعلمون بأنّ الصورة النهائية للعائلة لم تكتمل بعد، ففي العائلة يولَد الأطفال أيضاً.

لأي غاية يولد الأطفال؟ فهذا سؤال مهم جداً. إنَّ الأطفال لا يولدون كنماذج للزينة، ولا يولدون كي نتخلّص من ثرثرة الناس ونميمتهم، أي حتى لا يقولوا: «إنّها عاقر». يولد الأطفال لغاية معيّنة، ولا يجب أن يُلاقوا أي إهمال واستهتار من قبل الوالدين.

من واجب الأهل أن يهتموا بأبنائهم، لكن الأطفال منبوذون في عالمنا إلى حدٍّ كبير. هل تعلمون من أين يأتي الإهمال والنبذ؟ عندما لايقضي الوالدان وقتاً كافياً مع أطفالهما، فعلى الوالدين أن يدفعا أطفالهما إلى الأمام بنصائحهما.

سألوا أحد الرسّامين الكبار: ″كيف أصبحتَ رساماً؟″ فأجاب: «عندما كنت صغيراً كنت أرسم على جدران المنزل، وعندما كانت أمي ترى ما رسمت فقد كانت تقول لي: أحسنت، ياله من رسم جميل. وهكذا أصبح تشجيع أمي لي دافعاً لأصبح رساماً» هل تعلمون أن الكثير من الأطفال يعاقَبون بشدّة بسبب رسمهم على جدران المنزل! وبعدها لا يتمّ تشجيعهم على الرسم أبداً.

الطفل عبارة عن صفحة بيضاء لم يمسّها قلم، ومن واجب الوالدين أن يملآ تلك الصفحة بأيديهما. لكنّ الأهالي لا يملكون اليوم الوقت لذلك، فهم يقومون بتسليم طفلهم، أي تلك الصفحة البيضاء إلى التلفاز والشارع ليقوما على إملائها.

يشعر الطفل بحاجة تزويده بالمعلومات بشكلٍ مستمر، لذا فهو يأتي إلى والده لينال الإجابة عن أسئلته، وغالباً ما يردّ الأب على تساؤله قائلاً: «اذهب واسأل والدتك» فيذهب الطفل إلى والدته في المطبخ ليسألها، فتكون الأم حينها منشغلة مع جاراتها وتقول له: «اذهب الى غرفتكَ والعب» وهكذا تتكرّر هذه الحالة عدّة مرات. تلك هي الملامح الأولى لبداية الإهمال. ولكن ما الذي يحدث مع الطفل في الواقع؟ إنّ أخطر نقطة في هذا الموضوع هو أنّه عندما يذهب الطفل إلى غرفته دون أن يحصل على أية إجابة من والديه، يبدأ هو بالإجابة عن أسئلته بنفسه. فهو يعلم الآن أنه إذا لم يُجب عن أسئلته بنفسه، فلن يتلقّى الإجابة من شخص آخر. فالأهل لا وقت لديهم ليمضوه مع طفلهم، لكن لديهم الوقت لسحب «اليانصيب» وتتبُّع برامجه، وكذلك لديهم الوقت لحفظ برامج التلفاز غيباً، ولقراءة الصحف والمجلاّت، كما لديهم أيضاً الوقت الكافي للشجار والصراخ، لكن لا وقت لديهم ليكرّسوه لطفلهم.

تُثير فضول الطفل أمور كثيرة، ولكن أكثر الأمور فضولاً بالنسبة له هو لغز وجوده في هذا العالم.

أنا لا أعلم لما يشعر معظم الأهالي بالإحراج الشديد عندما يتعلّق الأمر بالتفسير للطفل عن حقيقة وجوده. هناك مقولة دارجة: «كل شيء طبيعي هو أخلاقي» فمثلاً عندما كنت أنا صغيراً، كثيراً ما تمنَّيت أن

أعلم كيف وُلِدْت، ولكن هل تعلمون كم نوعاً من الإجابات تلقَّيت؟ أمي قالت لي أنّهم قد وجداني في الغابة، وجدِّي قال لي أن طائر اللقلق قد حملني إليهم، وأما جدَّتي فقد قالت أن أمواج البحر قد قذفتني إلى اليابسة. ليس بإمكان الطفل أن يختار الإجابة الصحيحة، لذا فهو يأخذ عادةً كل الإجابات بعين الاعتبار. فأنا كنت أعتقد أن طير اللقلق قد حملني وألقاني في البحر، ثم ساقتني أمواج البحر إلى اليابسة، وعندها وجدوني في الغابة. لكن عندما كبرْتُ قليلاً وعلمتُ كيف وُلدْتُ فعلاً، كنت يومها في الصف الثالث، وقد عرفتُ ذلك في ظروف سيئة جداً، ومن مجموعة صبيان رديئةٍ جدّاً.

ليس هناك ما يدعو للإحراج لو أن الأب شرح لابنه والأم لابنتها عن حقيقة وجودهما في هذا العالم. فتصوّروا أنه لو كانت لديكم تساؤلات معيّنة، وكان الناس يخدعونكم بإجاباتهم أو يمتنعون عن إجابتكم قطعاً.

وهكذا يكبر طفلٌ منبوذٌ في بيت ما، وتكبر طفلة منبوذة في بيت آخر، فالأهل منشغلون دائماً ويقولون: «اذهب والعب... اذهب وراجع واجباتك، ألا ترى أننا منشغلان».

لماذا ينجب الناس الأطفال ماداموا لن يكرسوا لهم الوقت للاهتمام بهم؟

وهكذا بالنمو بهذا الشكل يصل الولد والبنت إلى سن البلوغ، ومن ثم يلتقيان ويتزوّجان. والآن ماذا تعتقدون؟ عندما يعاني أحدهما من مشكلة ما، فهل سيخبر الآخر عنها؟ طبعاً لا، لأنهما قد أصبحا الآن انطوائيين مُنغلقَين على نفسيهما. فالشاب يدرك الآن أنّه حتى لو أفصح

عن مشكلته لزوجته، فإنها على السواء لن تتمكن من مساعدته، كما لا يطلب من الله حتى أن يساعده، فهو معتاد على حلّ مشاكله في داخله، حيث كان قد تعلم منذ طفولته أن يجد لأسئلته أجوبةً بنفسه. ويمكن لزوجته أن تسأله: «ما بالك عصبي دائماً؟ قل لي ما الذي يحدث معك؟» ولكن دون جدوى، فهي لن تحصل على أية إجابة منه، لأن مشكلته الآن مطمورة في عقله الباطن.

وكذلك الزوجة التي مرت بنفس الظروف، يمكن أن تعاني بدورها من مشاكل أيضاً، فيحاول زوجها التقرُّب منها متسائلاً: «حسناً قولي شيئاً ما، لماذا أنت مكتئبة؟ ماذا حلَّ بكِ؟» وأيضاً دون جدوى، فهي مقتنعة بأن لا أحد قادر على مساعدتها.

اليوم عندما تقرأ هذا الكتاب، وتشعر أن أشياءً مماثلة تجري معك، تأكّد أن الله يريد أن يساعدك، وابتداءً من اليوم اتّخذ خطوة جريئة نحو الأمام وقم بالإنفتاح على الآخرين. مهما كان صعباً بالنسبة لك، فعلى كل الأحوال قم بإيجاد شخصٍ ما تُشاركه همومك ومشاكلك، وتعلّم أن تثق بالناس. طبعاً كلامي عن الناس المُخلِصين والأمناء، وسترى كيف أنهم سيتمكنون من مساعدتك.

هل ترون الآن من أين تأتي جذور الوحدة الناتجة عن الإهمال والنبذ؟ إن جميع أشكال الجذور تأتي من العائلة، تماماً كما يبدأ النهر منبعه من الجبل، لذا ينبغي علينا أن نكون حذرين في تربية أطفالنا وكيفية معاملتهم.

يجب أن يكون عدد أطفالك بقدر ما بوسعك أن تربّيهم. ولا يجوز تربية

الطفل كما تُربي الحيوانات: اقعد، انهض، اذهب، أعطني ماءً. فالتربية تعني تخصيص الوقت الكافي للطفل. وإذا كنت لا تملك ذلك الوقت فلا يحق لك تسبيب الشقاء لأيّ طفل.

من واجب الوالدين إسعاد أطفالهما. ونحن نؤمن بأن الأطفال هم عطيّة الله ونعمة منه، ذكوراً كانوا أم إناثاً.

أيها الأهالي المحترمون، ضحّوا بوقتكم الثمين في سبيل طفلكم الغالي، وسرعان ما ترون أنكم قد قدّمتم للعالم إنساناً بالغ الأهمّية والاعتبار.

بالتحدُّث عن المنبوذيّة وعن القيَم، ليس بمقدوري غضّ النظر عن أمرٍ دارجٍ جدّاً في بلادنا وهو أنّ البنات لدينا يُلاقين إهمالاً واستهتاراً أكبر من الذكور. عندما يكون المولود الأوَّل للعائلة بنتاً فإنّ الأمر مازال بعد على ما يُرام، حيث سيتقبَّل الأهل ذلك الأمر بفرح. ولكن إذا ما كان المولود الثاني أيضاً بنتاً...

فالبنت وهي مازلت بعد في الرحم، مولود غير مرغوب به. هل تفهمون؟ بتكلّمنا عن البنات نحن نتكلم عن أُمّهات المستقبل، واللواتي سينجبنَ أطفالاً ويغمرنهم بالحنان والدفئ. ولكن لو وُلِدَتْ البنت وهي منبوذة، فكيف لهذا الشعب أن يكون سعيداً؟ وها هو السبب الحقيقي لكون عيون الأرمن حزينة. البنت في مجتمعنا مولود غير مرغوب به، وخاصة إذ كانت البنت الثالثة أو الرابعة للعائلة، فحينها سيأتي الجميع لمواساة الأهل. ومن المؤسف والمثير للدهشة هو أن النساء أنفسهن من يقمنَ على مواساة الأهل عند ولادة البنت. وهذا يعني أنّ نساءنا لا

يـحترمـنَ ولا يُـقـدّرنَ جـنسـهـنّ بـالـذات. وفي المسـتـقـبـل يُـبدي الـرجـال الاحـتـقـار نفسه تجـاه الـبنت. وهـنـاك أمـثـلـة حـقـيقية كثيرة عن أزواج تـخلّوا عن الذهـاب إلى المستشفى لإحضـار نسائهم إلى المنزل بَعدمـا علموا بـأنّ مولودهم كـان بنتـاً. في الحقيقة نـحن يجب أن نؤمن بـأنّ الله هـو من يـهب الأطفـال، ذكوراً كـانوا أم إنـاثـاً.

فـأنـا مثلاً لديّ ابنتـان، والمجد للـه من أجلهمـا، ولو رُزِقتُ بثـالثـة أيضـاً فسيبقى المجد للـه أبداً، وهـا أنـا ذا مستعدّ لذلك. وحتى لو رُزِقت بـالرابعة والخـامسـة أيضـاً، فسـنـبـقـى أنـا وزوجـتـي أسعد والـديـن عـلـى الإطـلاق. تصوّروا أنّه عندمـا رَزَقنـا الله بطفلتنـا الأولى «آنّـا» كنّـا سعداء جداً، لكن الـبـعـض كـانـوا يـأتـون إلي ويـقـولـون: «لاتـهـتـم، المولـود الـثـانـي سـيـكـون صبيـاً» فـهم بدلاً من أن يفرحوا معي، لا أدري لمـاذا، هـم كـانوا يواسونـني. لكنَّ الغريب في الموضوع هـو أنـه عندمـا رزقني الله بـالطفلة الثـانية، أنـا لم أتلقى المواسـاة من قِبل الرجـال أبداً، بل النسـاء أنفسهن، هـنَّ من كنَّ يقلن لي: «لا بـأس، سيرزقك الـلـه صبيّـاً في المستقبل. كل شيء سيصبح على مـا يُرام» وكنت أفكِّر: لمـاذا المرأة ذاتهـا تعتقد بـأنّ الأنثى مخلوق سيّئ؟ لمـاذا يستَخف النسـاء بجنسهن؟

من أين يـأتي هذ التفكير المضـادّ للأطفـال؟ ولاسيمـا أنـنـا نـشـاهـد اليوم أمـوراً غـريـبـة كثيرة في هـذا الـعـالـم. فـعـنـدمـا يـتـقـدَّم الـوالـدان في السن ويُصـابـان بـأمراض الشيـخـوخـة، يـأخـذهـمـا الابـن بـكل سـهـولـة إلى دار رعـايـة المُسنّين. لكن عـلى عكـس ذلك تصمد البنت بجدارة إلى جـانب والديهـا ووالديّ زوجهـا أيضـاً. لذا فـإن رفض الطفلة ليس صوابـاً. (يُقصد بـالمثـال أنـه لا علاقة لجنس الطفل بـالإخلاص للأهـل).

ويمكننا أن نلاحظ أنه في مجال التربية أيضاً يتعامل الوالدان مع الذكور بطريقة تختلف عنها مع الإناث. فإذا كانت البنت هي الأولى والصبي هو الثاني، فأنا لا أعلم لما يجب أن يكون ذلك الصبي مُدلّلاً ومُغنّجاً، بينما تُعامَل أخته الكبرى بطريقة مُهينةٍ نوعاً ما، حيث يجب أن تكون خادمة أخيها وتقوم بكل شيء، وكأنّ مَلِكاً ما قد وُلِد. أنا واثق بأننا قادرون على تغيير طريقة تفكيرنا هذه تجاه أطفالنا، وحينها يكون الطفل بركة لجميع الناس بغض النظر عن جنسه.

أيجوز أن نرفض الطفل وهو مازال بعد في الرحم؟ وهل تعلمون أنّ الجنين يشعر بوالديه؟

قام مجموعة من الأطباء بإجراء تجربة على أمٍّ حامل، حيث أجلسوها في غرفة مظلمة وعصبوا عينيها حتى لا تَرى من يمرّ من أمامها، ثم قاموا بفحص نبضات قلب الطفل. لقد قام حوالي عشرين رجلاً بالمرور من أمام الأم، ولم يحدث أي تأثير على الطفل، لكن عندما دخل الأب ومرَّ من أمام زوجته تسارعت نبضات قلب الجنين. فالطفل إذاً يمتلك إحساساً مرهفاً تجاه والديه، ولو مازال بعد في الرحم.

ومن ناحية أخرى يدّعي بعض الأطباء أن الجنين إلى لحظة ولادته هو ليس طفلاً. تلك أكذوبة كُبرى. نحن بكنيستنا في صراعٍ وكفاحٍ متواصل ضدّ الإجهاض. في الحقيقة بعد عمليّة التلقيح بثلاث ساعاتٍ تقريباً، يكون الناتج طفلاً.

الأم هي بمثابة حصن منيع من أجل الطفل الذي لم يولد بعد، وعندما ينفذ الأطباء عملية الإجهاض فهم يحاولون بذلك نزع الطفل من مأواه الآمن الذي أعدّه الله من أجله إلى أن يولَد.

يتأثّر الجنين بالكلام السلبي الموجّه ضدّه ويشعر بالنبذ والرفض تجاهه وهو مازال بعد في الرحم. هناك حالات عديدة حيث يكون الوالدان بانتظار مولود صبي، ولكنّهما يُرزقان ببنت، وبعدها تقوم الأم بإرضاع طفلتها وهي يائسة، من دون أن تُدرك بأنّها تدسُّ روح المنبوذية في ابنتها منذ الصغر. وكذلك الأب أيضاً، فهو لا يدخل غرفة ابنته أبداً، وعندما يسمع صوت بكائها يصرخ قائلاً: «أَخرِسوا تلك الطفلة» وهذا الوضع المضطرب يخلق في المولودة حالة من الشعور بالإهمال نحوها وعدم الرغبة بها. وبمجرد ما أن تستطيع الطفلة السير على الأقدام تتحوّل إلى خادمة للمنزل، وتقوم بتنفيذ جميع أوامر أفراد الأسرة. كما تُصَبُّ دائماً حمم غضب الجميعِ عليها، فإذا ما عاد الوالدان من الخارجِ وهما غاضبان لسببٍ ما، فإنَّ تلك الطفلة البريئة ستكون مُذنبة حتماً. وهناك بعض الأهالي مَن يُلقِّبون البنت بالغبيّة، وهي لا تنال قُبلة أبويّة أبداً ولو عاد أباها بعد طول غياب. الفتيات هنّ في حالة ظمأ تجاه الحب والحنان اعتباراً من الطفولة.

في أيَّامنا هذه معظم العاهرات والزانيات، هنّ ضحيّة للنبذ والحرمان من الحب. فهنَّ يرغبن بنَيل الحب من أي رجل كان. وهكذا يمضين طوال عمرهن بالبحث، ولكن دون جدوى.

طبعاً نحن عندما نأتي إلى الله الآب نحصل منه على محبة تغمرنا بشكلٍ كامل ونهائي، لكن الله يشاء أن يحصل الأولاد على محبة الوالدين. إنّ الأطفالَ المنبوذين اليوم هم ضحايا في هذا العالم. وبشكلٍ أساسي الأطفال الذين لم تكن ولادتهم مرغوبة، هم المنبوذون أصلاً، ويُشكِّلون فئة كبيرة في المجتمع.

عند حديثنا عن الأطفال فإننا نتحدث عن المستقبل، وعن بلد المستقبل، وعن كنيسة المستقبل، وعن بشريّة المستقبل، وعن زعماء المستقبل. فهم سيخلفوننا عمّا قريب. إذاً، فما وضع الجيل الذي نقدمه اليوم؟ أفتياتٌ منبوذات، وذكورٌ مدلّلون؟

أنا أُؤمن بأنه هناك شعب، وهو الشعب المسيحي المؤمن مَن يجب أن يضع حدّاً لهذه اللعنة التي جاءَ بها إبليس إلى العالم. طبعاً لا يدرك الناس اليوم خطأهم في تعاملهم مع أطفالهم، ولكننا نواجه هذه الظاهرة من دون شك. فنحن في كل يوم نشاهد وجوهاً حزينة، كما أنه لا ينبغي علينا أن نتعجّب بالنظر إلى عيون الأرمن الحزينة. ربّما تعتقد أن عيون الأرمن حزينة لكونهم قد شاهدوا المجازر الدموية التي جرت عام ١٩١٥م، كلاّ، فهذا الحزن ليس بسبب المجازر، بل هو بفضل مجزرة أخرى، وهي عندما يكون الطفل على قيد الحياة بجانب والديه، لكنّ والديه يعتبرانه عدماً.

عزيزي القارىء، وأنت تطالع هذا الكتاب وتكمل قراءة هذا النص، لو بدأت تشعر بأنّك ضحيّةٌ للنبذ والإهمال من قبل والديك، وقد كانت لديك طفولة مشابهة لِما قد قرأت عنه، فأرجو منك ألاّ تنغلق على نفسك، بل تحاول الإفصاح عمّا في داخلك لأحد ما. افتح أبوابك على البشرية، حاول أن تكشف عما في داخلك لزوجتك (وأنتِ لزوجكِ)، ولا تُخفِ هذه الأشياء بداخلك وتتعذب طويلاً بصمت، بل أبصر الأمل. أعتقد أنّ آلام الماضي هي ينابيع دموع على وشك الانفجار، والتي قد مَلأت عينيك وحنجرتك، فأعطها الحرية لتنطلق خارجة منك، لأنك ستبدأ حياة جديدة اليوم. حاول أن تُسامح والديك إذا ما كانا قد أهملاك، كن مقتنعاً بأنّهما لم يُدرِكا ما قد فعلاه بك. ونحن أيضاً لو لم نكن مسيحيين مؤمنين، لكُنَّا

قد جهلنا كل هذه الأمور وتصرَّفنا مثلهم، لكن بما أنّنا ثابتون في الله، فهو يهبنا الحكمة، ونبدأ بفهم هذه الأشياء وتعلّمها.

تربية الأطفال

والآن، دعونا نتحدث عن تربية الأطفال. كيف علينا أن نربّي أطفالنا، بحسب كلمة الله؟

على الوالدين دائماً أن ينطقا عباراتٍ تحمل معانٍ إيجابية فقط، تُشجِّع وتدفع أولادهم إلى الأمام. تذكرون أنه قلنا بأنّ بعض الأهالي يُحبِطون من عزيمة أبنائهم عندما يقولون لهم: «اذهب لنرى كيف ستعيش لوحدك». وكذلك يُطلق الأب دعاءً روحياً على حياة ابنه عندما يقول له: «ستبحث عن لقمة الخبز ولن تجدها» يا لها من نبوءةٍ مؤثِّرة في حياة الابن. لو كانت تلك هي المحبة الأبويّة فعلاً، فإنَّ شعبنا مُحرَّم من المحبّة إذاً. إنَّ البركة أو اللعنة التّي يمنحها الوالدان لأولادهما، لهما مفعولهما الشديد في حياتهم.

بإمكاني أن آتي لكم بأمثلة عديدة من الكتاب المقدس تُبيِّن ما يحدث في حياة الأبناء من تغيير، بعد بركة الأهل لهم. ولكن عندما يخرج أحد الأبناء عندنا ليستقل بحياته مع زوجته في بيت آخر، فإنّ والديه يُقدِّمان له بركتهما المميزة بقولهما: «اذهب، ولكن تذكّر بأنّك ستتضوّر جوعاً وترجع إلينا».

في الحقيقة يجب على الوالدين أن يباركا أبناءهما بهذا الشكل: «اذهب

بسلام الله. نحن قد حققنا النجاح في حياتنا، وأنت أيضاً ستحققه حتماً. إننا نبارك حياتك، لاتستسلم أبداً، وكل شيءٍ سيتمّ على أكمل وجه».

أنا أقوم بتربية ابنتيَّ بطريقة تجعلهما تعتمدان على نفسيهما في المستقبل. وأنا أريد لهما ألاّ يعرفانا أنا وزوجتي فقط، بل أن يعرفا الآب السماوي أيضاً. أريد أن أكون صديق حياتهما، وأتمكّن من إطْلاعهما على قيم الحياة أجمع. وأريد لابنتَيَّ أيضاً أن تكونا صريحتين معنا في كل الأمور، لأنني أودّ الحفاظ على الثقة المتبادلة بيننا، حتّى إذا ما صادفَتْهما مشكلة في الحياة، يأتيا إلينا مباشرةً دون أي تردّد، وهذا يساعدهما على عدم الانغلاق على نفسيهما وتحولّهما إلى انطوائيّتين، فالوالدان يجب أن يستوعبا أولادهما بشكل صحيح في مُختلف ظروف الحياة.

عندما كانت ابنتي الكبرى في الخامسة عشر من عمرها، أخبرَتني يوماً ما بأنها قد وقعت في الحب. وماذا تعتقدونني قد فعلت؟ هل غضبت وصرخت في وجهها قائلا: «ماذا تقولين؟ لم يحن وقتكِ بعد» لا طبعاً، فخطوة خاطئة منّي، وكنت سأفقد ثقتها بي إلى الأبد. لكنّني قلت لها وبكل بساطة: «ياه، ما أروع ذلك! لو أنت قادرة على الحب فهذا شيء جميل. إذاً كل شيء طبيعي عندكِ، وأنا سعيد من أجلك».

ولكن هل تعلمون؟ هي كانت في سن الخامسة عشر، وفي الحقيقة أنا لم أشعر بالسعادة أبداً عند سماع ذلك الخبر منها. ثم بدأتُ أروي لها مقتطفات من حياتي، حيث حدثتها عن أول حب طفولي في حياتي، ثم أخبرتها كيف أنّ قصصاً مماثلة للحب تتتالى دورياً في حياة الإنسان

إلى أن يبلغ سنّ النضوج. وبعد أن استمعتْ إلي سألتني: «بابا، هل سيحدث هذا الشيء معي أيضاً؟» فقلت لها: «نعم، أعتقد ذلك» ثم استمريت بالحديث، وأخذتُ أبحث وأستقصي في أمور ذلك الصبي، ثم قمنا بالتدقيق سويّة في قيم وأخلاق ذلك الصبي. ثم شرحتُ لها ما هو الحب، ومدى المسؤولية التي يتطلّبها، حيث على الإنسان أن يستعدّ له على مرِّ السنين. وبعدما استمعتْ إليّ بانتباه شديد، قالت لي: «في الحقيقة أعتقد أنّ هذا الأمر مازال مبكراً بالنسبة لي». وبعد عدة أيام جاءت إلي وقالت: «لا يا بابا، أنا لم أعد أحب».

هل تعلمون أنّ أموراً غير متوقعة كهذه قد تواجهنا غالباً من قِبل أطفالنا، ونحن الأهالي علينا أن نستعدّ دائماً لتفسير الأمور بشكلها الصحيح، كي لا يرتدّ أطفالنا بعيداً عنّا. فنحن بطريقة تفكيرنا الفظّة وبغضبنا، لايجب أن نسدّ الطريق الذي يربطنا بأطفالنا. أليس الله أباً أيضاً؟ لكنه لايغلق الطريق بيننا وبينه أبداً، ونحن نستطيع أن نُقبِل إليه بأية مسألةٍ كانت وفي أي وقت كان. فالرب يسوع جاء إلى العالم وفتح الطريق بيننا وبين الآب السماوي، لذا تعالوا نعمل معاً على عدم إغلاق مَسلَك الثقة الممتدّ بيننا وبين أبنائنا.

من المهم جداً أن يفهم الأهل أبناءهم، وأن يقبلوهم كما هم في الواقع. فإذا كان طفلك فرِحاً، فاقبله كشخص سعيد. وإذا كان مُغرَماً، فاقبله كشخصٍ عاشق. فنحن من واجبنا كآباء وأمهات أن نُقدِّم لأبنائنا القيم والمبادىء الموجودة في الحياة، ونكون أصدقاءً لهم.

هناك تربية صحيحة، وتربية خاطئة. التربية الخاطئة هي التي تؤدّي بالطفل إلى التصرّف من دون تفكير، مثلما تُملي عليه الحياة، أي عندما

تقول له: «افعل ما يحلو لك. اذهب أينما تشاء» فلنفرض أنّ الطفل يقول: «لا أعرف ماذا أفعل، أهذا الشيء أم ذاك؟» وأنت تقول له: «اذهب وافعل ما تريد». ربما يقول الطفل: «لا أعرف أيهما آكل، التفاحة أم البرتقالة؟» وتأتي إجابة والديه: «اذهب وكل ما تشاء». بينما ليس من الصعب إجابته على النحو الآتي: «أنا أعتقد أنّ التفاحة في هذا الفصل أصلح للأكل، لأنها تحتوي على فيتامينات متنوعة» فبهذه الطريقة تشير أنت له عن قيمة الشيء وفائدته. وهكذا عندما يقول لك طفلك: «لا أدري ماذا أفعل، أهذا أم ذاك؟» فقم بالمقارنة بين الأمرين، واتستنتج في أيٍّ منهما تكمن القيمة والفائدة، ومن ثم انصحه.

من الصواب أن نربي الطفل بطريقة تجعله يفكّر عن قيَم الشيء وفوائده.

لايجب أن نُحرِّض أطفالنا على القيام بأشياء تفوق طاقاتهم، فبعض الأهالي انطلاقاً من أنانيتهم يجبرون الطفل على تعلُّم أحرف الأبجدية في سنّ الثالثة، وفي سن الخامسة يفرضون عليه تعلّم العزف على البيانو، وفي سن السادسة تعلّم الرقص. وطبعاً سبب كل هذه الأمور هو حبّ التباهي والتفاخر أمام الناس. فالوالدان يريدان أن يُظهرا للجميع بأن طفلهما هو الأفضل، وفي نفس الوقت بأنّهما أفضل والدين على الإطلاق. إنّ هذا سَلْبٌ واختلاس، فالأهل يسلبون طفولة أولادهم. لماذا يُسرع الأهل في هذه الأمور؟ فكم من المؤسف أن نرى أطفالاً صغاراً في سن الثالثة أو الرابعة، أي في السنّ الذي يرغبون فيه بالجري واللعب والقفز، لكنّ الأهل يرغمونهم على تعلُّم أشياء هم لايرغبونها.

أحبائي افهموا الأمر جيداً، أنتم لن تتمكنوا من استرجاع سن الثالثة

والرابعة لطفلكم، فمن التعاسة جداً أن يفقد طفلك طفولته ولايستمتع بها. يقول بعضهم: «ابني طفل خارق، فهو لا يحب اللعب بالألعاب أبداً، هو يرغب في حلِّ مسائل الرياضيات فقط» في الحقيقة إنّ أهل ذلك الطفل هم الذين دفعوه إلى تلك المرتبة. فكل شيء يأتي من نوع البذور التي نزرعها، وذلك الطفل سيحتاج عاجلا أم آجلا إلى اللعب، وربما يلعب في سن الثلاثين أو أكبر، ولكن حينها، بدلاً من اللعب بمسدسات الأطفال سيلعب بمسدسات حقيقية. نحن يجب أن نسمح لأطفالنا بأن يكونوا أطفالاً، وليس لأحد الحق بأن يحرمهم من تلك المتعة. ففي الكثير من الأحيان يسعى الأهل وبشكل غير مقصود إلى حرمان أولادهم من متعتهم الطفولية: «لا تصرخ، لا تركض، لا تقفز...». فمثلاً عندما تدخل إلى المنزل وترى طفلك يتطاير هنا وهناك، تنبّههُ قائلاً: «اقبع مكانك، اخفض صوتك، لاتقفز». ثم يذهب الطفل إلى الروضة، فيسمع المعلمات يقلن: «لا تصرخوا، لا تقفزوا، لا تركضوا» ثم يأتي إلى بيت الجدّة ويسمع مجدّداً: «اخفض صوتك، كفاك قفزاً». وهنا السؤال يطرح نفسه: «متى يصرخ ومتى يقفز هذا الطفل؟»

في إحدى الأيام عندما لاحظتُ أنّ ابنتي الصغرى تمرح وتصرخ في المنزل، أجلستها في سيارتي وذهبنا معاً الى مكانٍ خارج المدينة، وعندما وصلنا سألتني: « لماذا أتينا إلى هذا المكان يا أبي؟» فأجبتها بأننا أتينا كي نصرخ، ثم بدأتُ بالصراخ، فأخذت تصرخ مثلي، ثم ابتهجت كثيراً وسألتني: «أبي لماذا نصرخ؟» فقلت: «لأنكِ تريدين ذلك» فقالت: «في الحقيقة هذا رائع جداً» وهكذا لهونا يومها سويّة بحرية حتى المساء.

قال لي أحد الأصدقاء يوماً: «لماذا أطفالك هادئون هكذا؟» هل تعلمون

لماذا؟ لأنني لم أَحرمهم من المتعة الطفولية أبداً. في إحدى الأيام جاء أحد معارفي إلى الكنيسة، وبعد انتهاء الصلاة اقترب مني وقال: «لقد كان كل شيء رائعاً في الكنيسة، إلاّ أنّني أثناء مسيري بين الناس لاحظتُ في الصفوف الأخيرة فتاةً في حوالي السابعة والعشرين من عمرها كانت تصرخ بصوتٍ مُلفِتٍ للانتباه. الكلّ كان يصلّي بهدوء، بينما هي كانت تصرخ. في الحقيقة، لقد خفتُ قليلاً» فقلتُ له: «تعال لأشرح لك. تلك الفتاة لم يُسمح لها بالصراخ أبداً منذ طفولتها. والآن قد جاءت إلى الكنيسة، حيث هناك الحرية في المسيح، وأخذَتْ تتحرّر وتتخلّص ممّا كان يُقيّدها». أنا لا أتحدث هنا عن الصلاة بصوت مرتفع، حيث يمكن لجميعنا أن نصلي بصوتٍ عالٍ، فهنا يذهب الحديث عن الصراخ الفوضوي. لقد كانت تلك الفتاة تتحرَّر من القيود التي قيدوها بها منذ صغرها.

أنت تأمر طفلك بعدم القفز وهو في سنِّ العام أو العامين، حيث أنّ قدميه تحثّاه على القفز، وبعد فترة قصيرة سيصبح طفلك في السنّ الذي أنتَ فيه الآن، فمتى سيقفز إذاً؟ إذا كنت لاتريد أن تزعج الجيران، خذ طفلك إلى مكان ملائم، كحديقة مثلاً، واعطه الحرية ليقفز ويتطاير كما يريد. قم بخلق الظروف والأجواء المتيحة لذلك، ولا تسلب الطفولة من حياة أولادك.

إننا نشدّد انتباهكم إلى أنه لا يجوز سرقة الطفولة من الأطفال، وأنّ الوالدين المثاليين ليسا من يُعلِّما أطفالهما القراءة والكتابة في سن مبكرة، بل هما من يمتلكان أطفالاً مكتفين من طفولتهم ومن شبابهم إلى أن يحين الوقت الذي سيصبحون فيه بدورهم آباءً وأمّهات. لذا يجب أن تجعلوا طفلكم يكتفي من طفولته بشكل كامل، ولا يجوز لكم أن

تفكِّروا أبداً بأنه على أطفالكم أن يعيشوا بنفس الشكل الذي تعيشون به أنتم الآن، فهم لم يكبروا بعد. فأنتم قد عشتم المرحلة التي يعيشونها هم الآن، بينما هم لم يصلوا بعد إلى السن الذي أنتم فيه الآن. لذا ليس من المفروض عليهم أن يفهموكم، بل من المفروض أن تفهمونهم أنتم. فهل تعلمون؟ إنّ الطفل في سن الخامسة من الصعب عليه أن يفهم والديه اللذين في سن الخامسة والثلاثين، بينما من الأسهل كثيراً على الوالدين اللذَين في سن الخامسة والثلاثين أن يفهما طفلهما الذي في سن الخامسة.

تعالوا نقرأ معاً الإصحاح الخامس من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تيموثاوس: «فإذا كان أحدٌ لا يهتمّ بذويه، وبخاصّةٍ بأهلِ بيته، فقد أنكر الإيمان، وهو أسوأ من غير المؤمن» ١تيموثاوس٥: ٨. فنحن نتكلم عن الأبوّة المعدومة، أي عندما يتقاعس الأبوان عن الاعتناء بأطفالهم. وعادةً عندما يذهب الحديث عن الاعتناء بالطفل، يفهم الناس الاهتمام بهندامه وتوفير الطعام له فقط، لكنّ العناية بالطفل لا تقتصر على الأمور المادّية فقط.

العناية هي إقامة علاقة نفسية متبادلة مع الطفل، أي إشباع احتياجات الطفل النفسية والروحية، دون غضّ النّظر عن احتياجاته المادّية.

عندما كنت في السويد، دعاني أحد الأصدقاء مرّةً لتناول طعام الغداء في بيته، وبينما كنّا جالسين نتحدث عن مواضيع مثيرة، قاطعنا ابنه الصغير وهو يطلب من أبيه أن يذهب معه إلى غرفته ليُشكِّل له شيئاً بالمكعّبات، فاعتذر صديقي منِّي وذهب مع ابنه ليلبّي مطلبه، ثم عاد

إليَّ لنكمل حديثنا. أما نحن، بحسب تربيتنا ومبادئنا، فكُنّا سنقول للطفل في حالة كهذه: «لا تُزعجنا، اذهب وتسلّى في غرفتك إلى أن يُغادر الضيوف». في الحقيقة لقد بدا لي تصرّف صديقي غريباً في بادئ الأمر، ولكنني قد فهمتُ فيما بعد مدى صحة ذلك التعامل من قِبَل الأهل. فعندما يكون لديك أطفال لا يجب أن تعطي الأولية للحفاظ على الصداقة مع الأصحاب، بل المسألة الأهم هي تربية الطفل بالشكل الصحيح.

«فإذا كان أحدٌ لا يهتمّ بذويه، وبخاصّةٍ بأهلِ بيته، فقد أنكر الإيمان، وهو أسوأ من غير المؤمن»

مهما كنت مسيحياً صالحاً وملتزماً بالإيمان، ولكنّك لم تكن تعتني بأطفالك وعائلتك كما يجب، فأنت بحسب كلمة الله أسوأ من غير المؤمن. لأن الإهمال وعدم المبالاة، هي ثمارٌ تُرجى من غير المؤمن وليس من المؤمن. ربما يكون أحدهم مؤمناً تقياً، يراه الجميع في الكنيسة كإنسان مثالي، ويمدحونه، ولكن ما إن يدخل بيته، يبدأ باضطهاد عائلته، فهو لا يهتم بزوجته وأطفاله، وهم لايعنون له شيئاً. إنّ كلمة الله تقول أنّ شخصاً كهذا هو أخطر من غير المؤمن، فهو ناكرٌ للإيمان. إنّ الله يدعونا لتحقيق رقابة أهلية صالحة على عائلاتنا وبيوتنا. إنّ الجو العائلي الدافئ لايتشكّل بالأثاث الفاخر، والجدران أو الصور الجميلة، بل الجو العائلي الصحيح ينشأ عن الأُلفة المتبادلة والعلاقات الحميمة بين أفراد العائلة الواحدة، وبروح الله الذي يسكن فيهم.

الإمكانيات والمواهب

«درِّب الولد بمُقتَضى مواهبه وطبيعته، فمتى شاخ لا يميل عنها»
أمثال٢٢: ٦

كلمة الله تقول: ربِّ الولد حسب طريقه و ليس حسب طريقك، وهنا يجب أن نكتشف مواهب الطفل ومقدراته ونقوم بتربيته حسبها.

ابنتي الكبرى لها شغف منقطع النظير تجاه الملابس. فهي تقوم بإعطاء إرشاداتٍ لي عمّا أرتدي وأيّ ألوان أختار. إذا لم تتغيّر ميولها هذه مع تقدّمها في العمر، فأنا أعتقد بأنها ستصبح مصمّمةَ أزياءٍ في المستقبل. وأنا طبعاً لن أضغط عليها يوماً أبداً لكي تصبح طبيبة، وخاصّة أنّ في أيامنا هذه يحتاج الكثيرون لدينا، فيما بينهم مذيعوا البرامج إلى منسِّقين لأزيائهم.

كثيراً ما نصادف أطفالاً يلعبون بمتعة كبيرة بلعبة ما، بينما يرغموهم أهاليهم على عزف البيانو مثلاً. سينفّذ الطفل مُكرَهاً أوامر والديه، ولكنّه للأسف لن يصبح عازفاً بارعاً، ولن يتعلّم العزف حتّى. لأنّ البيانو سيتحوّل إلى عدوّه اللّدود الّذي يحرمه دائماً من ألعابه المحبّبة. أنا لا أعرف لماذا يريد الكلّ عندنا أن يتقن أطفالهم العزف على آلةٍ موسيقيّة؟ وإنّني أتساءل دائماً لماذا لا نمتلك في بلدنا مصمّموا سيّاراتٍ وأزياءٍ محترفين؟ (وإن وُجِدوا فهم لا يُلاقون أيّ اهتمام). فالألمان مثلاً يقومون كلّ عام بعرض طرازٍ جديدٍ لسيّارةٍ حديثة، أمّا عندنا فقد تمّ إنتاج طرازٍ واحدٍ لسيّارة تحمل اسم "بيراز"، ثم هيمن سكوناً تامّاً إلى اليوم.

في بلدان العالم المتقدِّمة، لو أنّ طفلاً ما أحبّ أن يرسم سيّارات يقولون له: «أحسنت، تابع الرسم» لكن عندنا طفل كهذا يجعله أهله جرّاحاً، كما يجعلون من يحب الطبخ موسيقياً.

في الحقيقة إنّ الطبخ يثير اهتمامي كثيراً. إنّ المأكولات الأرمنيّة المبتكرَة هي قليلةٌ جداً. وإذا كنّا صريحين أكثر، فإنّ آرمينيا لا تملك أصنافاً غنيّة خاصّة بها. ربّما تقول أنت: «الدولما» (المحشي) لكن تلك ليست أكلة أرمنيّة، فهي تُحضَّر وتُقدَّم في بلدانٍ كثيرة. أو ربّما تقول: «المقادم» (حساء المفاصل الغنيّ بالهُلام) هي أكلة أرمنية. حتى ولو فرضنا ذلك، فإنّه على السّواء لن نستطيع إدهاش الشعوب الأُخرى بتلك الأكلة. وربما تقول أيضاً: «المشوي». لكنّ شواء اللّحم كان معروفاً لدى بشر ما قبل التاريخ أيضاً. أو ربّما تقول: «البسطرمة»، لكن من اسمها ستعرف بأنّها أكلة غير أرمنية، وإنّك ستجد البسطرمة الحقيقيّة في البلدان العربيّة وتركيّا. وكذلك السّجق، فإنّ اسمه ينفي منشأه الأرمني، وإنّك ستجد كيف يُحضَّر السّجق الحقيقي في البلدان الشرقيّة. وكذلك المأكولات الأخرى، مثل الكفته والكباب واللّحم بالعجين والإيشلي كفتة التي نحضّرها في بيوتنا هي لا تحمل تسميات أرمنيّة، وإذا ذهبتم الى بلدان العالم المختلفة ستكتشفون مناشئها الأصليّة.

نحن لانمتلك موائد غنيّة بأصناف مأكولاتنا الخاصّة، والسّبب هو أنّنا أجبرنا الطبّاخ الموهوب على أن يصبح موسيقيّاً، أو طبيباً، أو محامياً. فهناك الكثيرون بيننا من أحبّوا تحضير الطعام في صغرهم، وعندما كانت الأمّ تعمل في المطبخ، كانوا يقفون بجانبها ويقولون: «هل تسمحين لي بمدّ العجين؟ هل بإمكاني أن أقوم أنا بهذا..؟» وكانت الأمّ تقول: «اذهب واهتمّ بدروسك» أو كانوا يُجلِسوه أمام آلة للعزف

ويقولون له: «أنت يجب أن تتعلّم العزف». إنّ هذه هي العلّة التي تحرمنا من امتلاك طبّاخين ماهرين. إنّ الطبّاخ الماهر هو هبة للشعب. الأمم تُعرَف لا بتراثها فقط، بل بمأكولاتها أيضاً. فاليوم قليلون من لديهم اطلاع على الثقافة والحضارة الصينية، لكنّ الكثيرين هم من يعرفون المأكولات الصينية.

تقول الأم بفزع: « ماذا؟؟ أيصبح ابني طبّاخاً؟» ولكن لِما لا؟ تصوّري أن يكون ابنُكِ طبّاخاً ماهراً يقوم بتقديم وجبات جديدة من ابتكاره في كل شهر من خلال التلفزيون والمجلاّت. هذا شيء رائع، فهو سيكون ذو قابليّة على الإبداع والابتكار. ولكن للأسف، يُجلِسون طفلاً كهذا أمام البيانو. نحن نسلب أطفالنا مواهبهم الفعّالة. لنتذكّر كلمة الله القائلة: «ربِّ الولد حسب طريقه». هناك شخصٌ أعرفه منذ طفولتي، وقد كان منذ سنّ السادسة يعرف أسماء كلّ الأدوية المتداولة في الصيدليّات، وعندما أصبح في سنّ الثامنة كان يحقن الإبَر بمهارة، فقد كان كلّ فضوله مُنصّباً على الطب. لكن هل تعرفون ماذا حدث؟ ذلك الطفل الموهوب لم يتمكّن من دخول كلّية الطب لعدم توافر المال. وهل تعلمون من نجح في دخول تلك الكلّية؟ من كان لديه المال اللّازم من أجل القبول أو الدراسة في إحدى الكلّيات الخاصّة. ربّما أغلب أولئك الّذين دخلوا كلّية الطب كانوا سيصبحون طبّاخين ومصمِّمين أو أخصّائيّين آخرين... ولكن أهاليهم شاءوا أن يصبحوا جرّاحين، أمّا مواهبهم الحقيقيّة فهي لم تُلاقي أيّ ترحيبٍ وتشجيعٍ من قِبل ذَويهم. من واجب الأهل أن يكتشفوا مواهب أطفالهم ويُنمّوها.

فنحن انطلاقاً من أنانيتنا نخسر مواهب أطفالنا.

في إحدى الأيّام أخذْتُ سيّارتي إلى التصليح، وقد أخذ المصلّح يتناقش معي أثناء عمله قائلاً: «ما هذا الطين العالق تحت سيارتك؟ إلى أين ذهبت بها؟» فأجبته إلى أين كنت قد ذهبت. ثمّ سألني: «مع من ذهبت؟» فأجبته أيضاً.. «ولكن ماذا كنتم تفعلون هناك؟» وهكذا إلى أن انتهى من عمله كان قد عرف أحداث ذلك اليوم بالتفصيل. بعدما فكّرت في الأمر، فهمت أنّ مصلّح السيّارات ذاك كان محققاً موهوباً. ولكن ما هو المؤلم في الأمر؟ إنّ المحقّقين الموهوبين يُصلحون السيّارات، بينما القصّابون يعملون كمحقّقين. نحن لا نستطيع الاستفادة من مواهبنا وقابليّاتنا، مادام شعبنا يتجاهل كلمة الله.

في أيامنا هذه الكثير من الناس يعشقون الدبلوم. وقد أصبحت تلك الشهادة هوايتهم المفضّلة: «أيُعقل هذا! ابني أنا لا يحصل على ذاك الدبلوم..!» وتسمع أيضاً: «آه ابني!! كيف يمكن لابني أن لا يكون طبيباً أو مهندساً..!» أنتم لن تفكّروا بهذا الشكل لو كان المال ينقصكم. لكن عندما تحصلون على المال الكافي، أو تكتشفون طريقةً ما من أجل تأمينه، تقولون: «كيف لا أُدرِّس ابني الحقوق أو الطب؟» في الكثير من الأحيان يكون المال سبباً لسلب موهبة الطفل منه. فهو لا يتمكّن من كون ما كان يجب أن يكونه. ربّما هو قد ولد ليكون طياراً بارعاً، فتلك هي موهبته، لكنّ توافر المال جعله مهندساً. إنّ كلمة الربّ تقول: «ربِّ ابنَك حسب طريقه» فانتبه جيّداً الى ما يُحبّه ابنك.

حدّثني يوماً شخص له طفل مُولَع بالحيوانات والسيّارات، حيث قال: «أنا الآن أبحث عن مدرِّس خصوصي ليُعلِّم ابني البرمجة» في الوقت الذي لايملك ابنه أيّ اهتمام بالكُمبيوتر! وهنا تأخذ بالتفكير: «يا إلهي، ما أكبر الفرق ما بين الحيوانات والسيّارات، وبين هندسة الكمبيوتر!»

تعالوا نمنح أطفالنا ثقافةً توافق قابليّاتهم وامتيازاتهم. قم باكتشاف موهبة طفلك، فهذا واجبك.

لا تقل لابنك مطلقاً: «أنت لم تُصبح إنساناً» ماذا يعني هذا الكلام؟ بإمكاني القول بأنّك أنت من لم يجعله إنساناً. هل تعلمون ما هو أفظع شيء لدى الطفل؟ هو عندما يقوم الأهل بذكر أولاد الآخرين كأمثلة نموذجية مقارنةً بابنهم، فيقولون مثلاً: «انظر إلى أطفال خالك كيف يدرسون. انظر إلى صديقك كيف أنّه.. وأمّا أنت..» وهكذا يبدأ الطفل بالشعور بالإحتقار تجاه نفسه، ويرى الآخرين على أنّهم أفضل منه دائماً.

كثير من الأهالي اليوم يقولون لأبنائهم: «أنت لن تصبح إنساناً أبداً.. لن يُرجى منك شيئاً يوماً.. أنت لا تنفع لشيء..» وبكلماتٍ كهذه هم يفسدون أطفالهم. يمكن لأحد الأطفال أن ينال علاماتٍ تامّة في المدرسة، بينما يقوم طفلكم بتحضير وجبات شهيّة ويساعدكم في ترتيب وتنظيف المنزل، وربّما لا يستطيع ذلك الطفل القيام بما يقوم به طفلكم.

عندما يكون طفلنا صغيراً، نُمارس في حياته وسائل الغَضْب والقسر. وعندما يكبُر، نتابع ممارستنا العنيفة تلك عن طريق هَيْمَنتنا على إرادته وقراراته في أمور الزواج، حيث يقول الأهل: «لن تتزوّج بتلك الفتاة» ويقول هو: «أنا أحبّ حسناء» فيقولون: «كلاّ، ستتزوّج بمَريم. فنحن نعرف أهلها جيّداً». ويتزوّج بمريم. بعدها يقولون: «قريباً ستُرزَقون بطفل. لا تُلبسوه هذا اللّباس، بل ألبسوه ذاك..» وهكذا أيّها

الأهل الأعزّاء، دون أن تلاحظوا، تتحوّلون إلى متسلّطين غاصبين في حياة ابنكم وزوجته.

ربّما سمعتم بعبارة كهذه: «لكي لا أُثير غضب أبي، ولا أجعل أمّي تُصاب بأزمة قلبيّة، قَبِلْتُ بدخول هذه الكلّية» والآن تعالوا لنطّلع معاً على هذه الحكاية الفريدة: «كانت أمّي تريد صبيّاً، وأبي كان يريد صبيّاً أيضاً. كي لا أُغضِبَ أبي، ولا أسبب الحزن لأمّي، وُلِدْتُ أنا في هذا العالم. أمّي لم تكن ترغب بتقميطي، لكنّ جدّتي كانت تريد أن أتقمّط. لكي لا تغضب جدّتي، قمّطوني. وبعد ذلك عندما كبُرْت، قالت أمّي: يجب أن تذهب إلى روضة الأطفال المجاورة. لكنّ أبي قال: كلا، يجب أن تذهب إلى روضة الأطفال الخاصّة. لكي لا أُغضب أبي، ذهبت إلى روضة الأطفال الخاصّة. ثم قرّرتُ أن أتعرّف على التكنولوجيا الحديثة مع أصدقائي. قالت أمّي بأنّني سأُسبّب لها أزمةً قلبيّة، وقال أبي بأنّني سأُثير غضبه كثيراً. لكي لا أُسبّب لأمّي أزمةً قلبيّة، ولكي لا أُثير غضب أبي، ذهبت لأتعلّم العزف على البيانو. ثمّ رغبتُ في يوم ما في الذهاب مع رفاقي إلى الكشّاف وقضاء اللّيل معهم في الغابة تحت الخِيام. لكنّ أمّي قالت بأنّني سأُسبّب لها أزمة قلبيّة، وقال أبي بأنّني سأُثير غضبه كثيراً. لكي لا أُسبّب لأمّي أزمة قلبيّة، ولا أُثير غضب أبي، لم أذهب. وعندما أنهيتُ دراستي في المدرسة بتفوّق، كنت أرغب كثيراً بأن أدخل كلّية هندسة الكمبيوتر. قالت أمّي بأنّني سأُسبّب لها أزمة قلبيّة، وقال أبي بأنّه سيتبرّأ منّي، لأنّه عليّ أن أُصبح طبيباً. لكي لا أُسبّب لأمّي أزمة قلبيّة، ولا أكون سبباً في تعاسة أبي، ذهبتُ للدراسة في كلّية الطب. وبعد تخرّجي، أحبَبْتُ إحدى الفتيات وعرّفتها على والديّ. قال أبي بأنّني لو تزوّجت منها، سيتبرّأ مني إلى الأبد، وأصرّت أمّي بأنها ستُصاب بأزمة قلبية. لكي لا أُثير غضب أبي، ولا أُسبّب لأمّي أزمة قلبيّة، ابتعَدْتُ عن تلك

الفتاة. بعد سنوات عديدة تزوجتُ بفتاةٍ أخرى عَرَضاها عليّ. ثم فكّرت أن أستقلّ بحياتي مع زوجتي لأؤسس عائلتي بنفسي. قالت أمّي: لن يحدث هذا إلاّ إذا عبرتَ على جثّتي. وقال أبي بأنّه قد حفِظني، ورعاني، وأطعمني طوال العمر، فكيف بإمكاني أن أتركهم الآن وأُغادر؟ لقد فهمتُ عندها أنّني تحت الدَّين. وهكذا كي لا أَعبُرَ على جثّة أمّي، ولكي أُسَدِّد ديوني لأبي، بقيتُ في المنزل.

والآن أنا في سنّ الستين. وها أنا جالس وحدي في الدار، ولا عائلة لدي. وأنا لم أستلم راتبي التقاعدي منذ ثلاثة أشهر، ولا عمل آخر لديّ. أنا وحيد الآن. لقد عشت طوال عمري حريصاً على ألاّ أُسبّب لأمّي أزمة قلبيّة، ولا أُثير غضب أبي».

ما أعظم المأساة الّتي يمكن للأهل أن يسبّبوها لأطفالهم الأحبّاء.

أثناء مطالعة هذا الكتاب، يمكن للكثيرين منكم الاعتقاد بأنّ أموراً وأحداثاً كهذه تجري مع الآخرين فقط، ولكن هذا اعتقاد خاطئ، ومجرَّد من المسؤوليّة.

هل بإمكاننا معاقبة الأطفال؟

هناك مناقشات كثيرة في كل أنحاء العالم حول هذا الموضوع.

في أمريكا وأوروبا لايستطيع الأهل معاقبة أطفالهم. وإن أَقْدَموا على ذلك، فإنهم يُعرِّضون أنفسهم للمحاسبة القانونيّة. ولكن تلك ليست من حقائق الكتاب المقدّس. لماذا لا يرغب الشّيطان بأن يعاقِب الأهل أطفالهم؟ إنّ الشيطان لايريد ذلك، لأنّه إذا لم يعاقب الأهل أطفالهم، فإنّ

الجهالة ستبقى مرتبطة بقلب الطفل. تقول كلمة الله في أمثال٢٢: ١٥: «الجهالة مرتبطة بقلب الولد. عصا التأديب تُبعدها عنه». وكذلك نقرأ في أمثال ٢٣: ١٣–١٤: «لاتمنع التأديبَ عَنَ الولدِ، لأنّك إن ضربتهُ بعصاً لا يموتُ. تضربه أنت بعصاً فتنقذ نفسهُ من الهاوية».

إنّ كلمة الله تقول بأنّك تضرب الطفل بالعصا، لكنّك تُخلِّص روحه من الجحيم. كيف علينا أن نضرب الطفل؟ فهذا أمر مهمّ جدّاً. ينبغي عليك أن تعلم أولاً بأنه يُمنع عليك ضرب طفلك وأنت غاضب، فلا يحقّ لك أن تصبَّ غضبك على طفلك. إنّ مزاجك السيّء والغضب، هما حالتا إنذارٍ لعدم الاقتراب من طفلك في تلك الأثناء، مهما كان قد فعل. ففي مثل هذه الحالات، أنا أدخل إلى غرفتي وأُحاول تهدئة نفسي، وأصلّي. أنا أعاقب أطفالي دائماً بوجه مبتسِم. أنا أضحك، بينما هم يبكون. أقول لابنتي: «أنا الآن سأعاقبكِ. نعم سأضربكِ الآن» هي لا تصدّقني، وتمدّ لسانها لي، لكن عندما أضربها تنظر إلى وجهي مباشرةً وتبدأ بالبكاء، بينما أنا أضحك. هل تعلمون لماذا أضحك أنا، وتبكي هي؟ حتى إذا ماكبرت، لا يأتي يوم تضحكُ هي فيه، وأبكي أنا.

نعم، يجب أن نعاقب الطفل من غير غضب، فنحن علينا أن نفهم بأنّنا نعاقب طفلنا حتّى لا يُكرِّر فِعلَته مرّة أخرى، وليس من أجل أن نصبّ حمم غضبنا عليه. إنّ المعاقبة بالضرب تتوقف على سنّ الطفل وعلى جنسه، حيث يمكن معاقبة الطفل بالضرب حتّى تلك السّن الّتي عندما تضربه فيها ومن ثمّ تعطيه قطعة سكاكر، ينسى الأمر. كما يجب على الوالدين أن يَعلما أنه متى يضحكان على أفعال طفلهما، ومتى يعاقباه بالضرب، ومتى يؤنّباه بالكلام فقط من دون ضرب.

في بعض الأحيان يُحرِّض الوالدان طفلهما على ارتكاب أفعال شنيعة. فمثلاً يقول الأب لطفله: «هيّا يا صغيري، اشتم هذا الرّجل» فيشتمه، ويضحك الوالدان. وبعدما يكبر ذلك الطفل تصبح الشتائم طبيعةً ملازمةً لشفتيه، ويبدأ بالتدخين وتناول الكحول، ويثمل أحياناً، ثمّ تراه في سنّ الثامنة عشرة قد حَلَّ مُكبَّلاً في أحد السجون. وحينئذٍ يقول الأهل: «ولكن لماذا حصل هكذا؟ لقد فعلنا من أجله المستحيل. نحن لم نحرمه من شيء». لا يفهم الناس أنّ تربية الطفل لا تقتصر على تأمين المأكل والملبس وتلبية طلباته الثمينة فقط. يقولون: «نحن لم نحرمه من شيء، فعلنا له الكثير، لماذا دخل السجن؟» ثم يخرج الابن من السجن وهو يضحك، بينما والداه يبكيان.

طبعاً كلمات الطفل عذبة، وشتائمه أيضاً تبدو عذبة، لذا فإن والديه يضحكان. بينما من المفروض معاقبة الطفل بالضرب مقابل كل شتيمةٍ يتفوّه بها، حتّى يتذكّر طوال عمره بأنّ ذلك ممنوع. ويقول بعض الآباء أيضاً: «خذ ضع لِفافة التّبغ هذه في فمك، لنضحك قليلاً» ثمّ ينظر الوالدان إلى طفلهما بابتهاج. ولكن كم على الإنسان أن يكون مغفّلاً حتّى يسمح لنفسه بالتصرف مع ابنه على هذا النحو.

ينبغي معاقبة الطفل بالضرب في العمر المناسب فقط. فكلمة الله تقول بأنّك ستضربه أنت، وستبتعد الجهالة منه. بينما يُسامح الأهل أطفالهم في صغرهم، ويبتهجون بأفعالهم الضارّة، وحالما يصبحون في سنّ العاشرة وما فوق، يبدأون بضربهم.

إنّ الأهل قد تأخّروا، فقد مضى وقت العقاب بالضرب، وقد جاء وقت التأديب بالكلام.

في إحدى المرّات شاهَدْتُ حادثةً قد آلمتني كثيراً. قام الوالد بطلب كأسٍ من الماء من ابنته البالغة من العمر سبعة عشر عاماً. وعند إحضارها للكأس، انسكب بعض الماء على الأرض، فرفع الأب صوته قائلاً: «يا لكِ من حمقاء» ثمّ مدَّ يده وضربها بخفّةٍ على رأسها. هو لم يفهم أنّه بفعلته تلك، قد أهان ابنته. أَيُعقل التعامل بهذا الشكل مع فتاةٍ مراهقة؟ لقد أصبح الصراخ والضرب ظاهرتين طبيعيّتين جدّاً لدى الكثير من الأهالي، في حين ينبغي على نبرة صوتهم المغيّرة أن تكون كافية لإنذار طفلهم بأنه قد ارتكب خطأً ما. وهكذا بات الصراخ والضرب لدى الكثيرين من الأطفال أمراً طبيعياً بالنسبة لهم، فهم حتى لا يتصوّرون أيّة طريقة أخرى لتعامل ذويهم معهم.

هناك أطفال لايذكرون بأنّهم قد ضُرِبوا من قِبَل أهاليهم. لكن لو سألت الأهل، لقالوا بأنّهم قد عاقبوهم بالضرب في صغرهم. هل تعلمون لِمَا لا يتذكّر الطفل ذلك؟ لأن الوالدين قد اختارا الوقت الصحيح والمناسب للمعاقبة بالضرب، حيث كان أطفالهم صغاراً بعد، وقد كانوا ينسون ضَرْبَ أهلهم لهم لمجرّد حصولهم على قطعة حلوى.

ولكن للأسف هناك أطفالٌ لايتذكّرون من ماضيهم شيئاً سوى الضرب.

«أيّها الآباء، لا تثيروا غضب أبنائكم، بل ربّوهم حسب وصايا الربّ وتأديبه» أفسس ٦: ٤.

قبل قليل كُنّا نتحدّث عن معاقبة الأطفال. نعم، لا تُبعد العصا عن أطفالك، اضربهم، ولكن عندما يكبرون قليلاً تقول كلمة الرب: «أيُّها

الآباء، لاتثيروا غضب أبنائكم، بل ربّوهم حسب وصايا الربّ وتأديبه». لقد حان الوقت الآن لإرشادهم بكلمة الرب وتعاليمه.

إنّ الوقت قد تغيّر الآن. فلا يجوز للشيطان أن يضرب أولادك بواسطتك. فهو يحمل حقداً تجاههم، ويرغب بضربهم مستخدماً إيّاك كأداة بيده. فأنت تضرب ابنك والغضب يملأك، في حين ينظر الشيطان إليك والسّعادة تملأه. تذكّروا بأنّ كلمةَ الربِّ تقول: «ربّوهم حسب وصايا الربّ وتأديبه» فطفلك لا يفرض عليك مواعيداً معينة، فأنت تستطيع أن تُرشده وتنصحه في أيّ وقت تشاء.

يجب على الأهل أن يخصصوا وقتاً لأطفالهم، من أجل سماع تفسيراتهم بعد ارتكابهم خطأ ما، فيجب أن يسألوهم: «لماذا فعلت هكذا؟» وبعدها يجب أن ينصتوا إليه، ومن ثمّ يعطوهم النصيحة الصحيحة. قل لابنك: «أنا أريد أن أساعدك في حلّ تلك المشكلة، لذا فأخبرني عنها بالتفصيل» وعندها سيمنحك الله حكمةً خارقة للتكلّم مع ابنك. تذكّروا، يجب أن نكون دوماً أصدقاءً لأطفالنا.

لاتترددوا أبداً بطلب المعذرة من أطفالكم إذا أخطأتم في حقّهم، وطبعاً إذا كانوا هم يعرفون الغفران.

في إحدى الأيّام ارتكبت ابنتي الصغرى فعلة ما، فسألتها: «من فعل ذلك؟» فقالت «أختي» وقد صدّقتُها، وفي تلك اللّحظة دخلت ابنتي الكبرى دون أيّ علمٍ بما يجري، فأخذتُ أنا بتأنيبها غاضباً. ولكن طريقة استجابة الطفل للمَلامة، تُبيِّن حقيقة كونه مذنباً أم لا. فلو كان الطفل بريئاً، يأخذ بالصراخ عالياً رافضاً التهمة الموجّهة إليه، لأنّه لا

يدري ماذا يفعل غير ذلك. وإذا كان مذنباً، فهو يعرف جيّداً كيف يبكي. لقد فهمتُ من ردّة فعل ابنتي الكبرى بأنّها بريئة. وعندها نظرتُ مباشرةً إلى ابنتي الصّغرى، فأخذت بالبكاء فوراً. لقد قمت بمعاقبتها يومها مرّتين، فمرة من أجل الكذب، والمرة الأخرى من أجل فعلتها الأولى. ثم اقتربتُ من ابنتي الكبرى وطلبت المعذرة منها، حيث قلت لها: «اسمعي، هل بإمكانكِ أن تسامحيني؟» فقالت لي: «أنا أسامحك». هل تدركون قيمة هذه العلاقة ومدى أهمّيتها؟ فأنا أخطأتُ تجاه ابنتي، لذا عليّ أن أعتذر، وهذا لن يقلّل من شأني، وبالمقابل فهي قد صفحت عني.

لقد عاقبتُ ابنتي الصغرى بجعلها تقف ساكنةً في إحدى زوايا الغرفة لمدة معينة. لكنّ الأمر لن يقتصر على الوقوف في زاوية الغرفة فقط، فمن واجبي أنا الآن إعطاء تفسير خاص عن سبب معاقبتي لها. فعندما وقَفَتْ قلت لها: «عليكِ أوّلاً بطلب المعذرة منّي» فاعتَذَرَتْ. ثمّ قلت لها: «هل تعلمين لما أنتِ معاقَبة؟ فالأمر الأوّل الذّي أثار استيائي هو كذبكِ، فكلمة الله تقول بأنّ الكذب يأتي من الشّيطان، وأنتِ قد أصغَيْتِ لصوت إبليس وكذبتِ. والأمر الثّاني هو أنّكِ قد ارتكبت فعلةً أزعجتني، لذا يجب أن تعتذري من أجل ذلك أيضاً» فاعتذرت أيضاً «وأمّا عن موضوع كذبكِ فاذهبي إلى غرفتكِ واطلبي السماح من الرب يسوع، لأنكِ قد أصغيتِ لصوت إبليس» وذهبَتْ ابنتي للإعتذار من الربّ يسوع. من الضروري جدّاً أن يتعلّم الطفل ممَّن يعتذر ولأيّ سبب يعتذر. فمثلاً عند كَسْرِ قدحٍ عَمْداً يجب الإعتذار من الأهل. لكن عند القيام بالكذب.. فإنَّ تلك مسألة روحيّة، وهي خطيئة، لذا يجب أن يتعلّم بأنّه عليه الإعتذار من الله. فنحن يجب أن نعلّم أطفالنا قيم الحياة ومبادئها.

«أيّها الآباء، لا تغيظوا أولادكم لئَلا ييأسوا» كولوسي٣: ٢١.

إنّ العقوبات الخاطئة التي تُمارَس ضدّ الطفل، وعدم الإعتذار منه، تؤدّي إلى إصابته باليأس وخيبة الأمل، وتجعله خاملاً ومُحبَطاً في الحياة بشكلٍ عام. لا تقُل لابنك بتاتاً: «الكل في هذا العالم صاروا بشراً، إلا أنت» يمكن لجميع الأطفال أن يصبحوا أُناساً صالحين، إنّما هم بحاجة إلى والدين صحيحين وتربية صحيحة. إنّ أطفالنا هم مرايانا، يعكسون صورتنا ويُظهِرون من نحن. الطفل الخامل أو المُحبَط يفقد روح المتعة والفضول تجاه كل الأشياء، وكثيراً ما يؤنِّبه أهله قائلين: «اسمع، أنت ستُضلِّل نفسك، هيّا تيقظ» فالأهل ينهمون لرؤية ابنهم مُحبَطاً وخاملاً، لكنّهم في الحقيقة لايفهمون السبب.

«أيّها الآباء، لا تغيظوا أولادكم لئَلا ييأسوا». ولكن متى يغتاظ الطفل أو يغضب؟ سيغضب الطفل في حالة واحدة، وذلك عندما نلقي بالذَّنب عليه دون أي سبب.

لننتبه لرسالة الرسول بولس الثانية إلى تيموثاوس، حيث يمكننا أن نلاحظ كيف نشأ وتربّى تيموثاوس:

«فأنت منذ طفولتك عرفتَ الكتب المقدّسة القادرة على أن تزوّدك بالحكمة التي تهدي إلى الخلاص في الإيمان بالمسيح يسوع».
٢تيموثاوس٣: ١٥.

فالرسول بولس يقول عن تيموثاوس بأنه يعرف الكتب المقدّسة منذ طفولته.

كيف يجب علينا أن نعلّم الطفل مضمون الكتاب المقدّس؟ فتيموثاوس

كان يعرف الكتاب المقدّس منذ طفولته، لذا فهو كان رسولٌ وإنسانٌ جيداً.

يجب على الوالدين أن يُخصِّصا وقتاً معيّناً من أجل التحدّث عن الكتاب المقدّس للطفل، ويعلّماه العيش بحسب مبادئه ومفاهيمِه. ويجب أن يقوما بذلك استناداً إلى روايات الكتاب المقدّس ذات المغزى العميق.

مثلاً، بإمكاننا أن نروي للطفل قصّة الرّاعي الصالح الّذي ذهب وراء خروفه الضائع، وهنا علينا الانتباه كي لا نقدّم ذلك المثل للطفل بطابعٍ دينيٍّ بحت. فيمكن أن نقصّ عليه ذلك المثل على النحو الآتي: «كان نهاراً مُشمِساً، وكان كلّ شيء على ما يُرام. وقد كانت الخراف ترعى بسلام في الحقل، وكان بينها خروفٌ سعيدٌ جدّاً، تماماً كما أنت. وقد فكر ذلك الخروف في نفسه: كم أتمنّى مغادرة هذا المكان، والذهاب إلى العالم المجاور لرؤية ما فيه. وهكذا تخلّى عن رفاقه الخراف وغادر. أتَعْلم؟ أنّ قطيع الخراف هذا، يرمز إلى كنيسة الله الّتي ننتمي إليها نحن أيضاً. لقد ترك الكنيسة وذهب، وفجأةً صادفه منحدَرٌ صخريٌّ خطِرٌ، فزلَّت قدمهُ. وقد كان الراعي في تلك الأثناء جالساً وسط الخراف يعزف على الناي، وكان الكلّ سعداء يُسبِّحون الله ويرنّمون له. وأمّا ذلك الخروف فكان قد وقع في مكانٍ مظلمٍ يُشرفٍ على الوادي. ثمّ فجاةً ظهرت غربان سوداء كبيرة وكأنّها أجناد الشرّ، أخذت تُحلِّقُ باتجاهه بقوّةٍ، فأخذ الخروف المسكين يصرخ ويستنجد بالرّاعي. وعندها يسمع الراعي الصالح صوت خروفه الضّال، فيترك القطيع لوهلةٍ، وينطلق لنجدته. فيصل إليه وينقذه من مأزقه، ثمّ يعود به إلى القطيع مجدّداً، حيث نغمات الترانيم تغمر المكان».

ماذا تظنّون؟ هل سيفهم الطفل هذه القصة؟ بالطبع سيفهمها، لأنّها قُدِّمَت له بشكلٍ يُلائم أفكاره وخياله. وليس من الصواب أبداً أن نُرعِب الأطفال بقصص خرافيّة، حيث السّاحرات والشخصيات المفزعة، بل من المستحسن طبعاً أن نقرأ لهم كلمة الله. أنا في كلّ ليلة أتمنّى لأطفالي أحلاماً سعيدة وأقول لهم: «إنّ ملائكة الله تحميكم، فلن يصيبكم أيّ مكروه. ستنامون وتحلمون أحلاماً سعيدة، ولن يقترب منكم أيّ شرّ، لأنّ الله يحرسكم. أمّا الآن فتصبحون على خير».

في الحقيقة أنا لا أفهم أولئك الناس الذين يرغمون أطفالهم على تناول الطعام أو النوم عن طريق نشر الرعب في قلوبهم.

في إحدى الأيّام كنت أمرّ من جانب طفل يبكي، وفجأةً سمعتُ أمّه تصرخ: «اهدأ حالاً، وإلاّ سأقول لهذا العَمّ كي يضربك» فقلت لها: «أيّتها الأخت العزيزة، الحمد لله أنك لم تقولي له: كي يأكلك!» فقالت: «آه، إذا لم أقل له هكذا، فلن يسكت». فهل تتخيّلون وضع هذا الطفل؟ هو يعيش في حالة من الرعب المتواصل. وهو يسمع باستمرار تهديداتٍ كهذه: «سيأتي العمّ أبو كيس ليخطفك.. وسيأتي الوحش أيضاً... وسيضربك هذا العمّ الآن.. وستأكلك هذه العجوز الآن.. وسيعضّك هذا الكلب.. وسيحبسك هذا الشرطي» ومن أغرب التهديدات على الإطلاق، وأكثرها خطراً، عندما يقول الكبير للطفل: «لا تكذب، أو لا تفعل هذا وذاك.. وإلاّ سيأتي يسوع في اللّيل ليخنقك» وكذلك أيضاً: «لا تفعل ذلك.. وإلاّ سيرمي الله على رأسك حجراً من السّماء» تُرى من الذي اخترع هذه الأكاذيب التي ستقود ناشريها إلى جهنّم؟ فكلمة الله تنبّه الجميع في رؤيا يوحنّا: «وأنا أُنذِرُ كلّ من يسمع الأقوال النبويّة في هذا الكتاب أن لا يزيد عليها حرفاً، وإلاّ زاده الله من النكبات الموصوفة في هذا الكتاب» رؤيا يوحنا٢٢: ١٨.

وهكذا ينمو الطفل وهو محاطٌ بالخوف من كل جانب. وحتى عندما يكبر، يبقى ذلك الخوف ماكثاً في عقله الباطن.

غالباً ما أشرح لأطفالي بأنّ رجال الشرطة أناسٌ طيّبون، وهم من أجل خدمتنا وحمايتنا. وكذلك العساكر أيضاً، فهم من أجل الدفاع عنّا وعن الوطن، ولا يجب أن نخاف منهم. تعالوا لنعلّم أطفالنا قيماً صحيحة.

لقد تطرّق الكاتب الأرمني الكبير «هوفهانيس تومانيان» إلى هذا الموضوع أيضاً في إحدى قصصه المثيرة جدّاً بعنوان «اللوري ساكو»: لقد كان ساكو جبّاراً هائلاً، ولايستطيع أحد الصّمود في وجهه. والكلاب والنمور أيضاً عندما كانت تراه، تفرّ هاربة منه. إنّ ساكو هو بطل الجبال، رجلٌ فظيع.

وفي إحدى الليالي عندما كان ساكو يجلس وحيداً أمام المدفأة ليجفّف جواربه، يتذكّرُ فجأةً روايات جدّته. ومن كان يتصوّر بأنّ داخل هذا الرجل المريع كانت تسكن بذور القصص القديمة للجدّة. وبدأ يتخيّل بأنّ بيته مملوء بنساء مرعبات يرقُصْنَ ويصرخْنَ.. وبينما هو يتعمّق في تفاصيل تلك الرواية الخرافيّة في فكره، يسمع فجأةً صوت طقطقةٍ من المدفأة، فيبدأ البطل بالصراخ مرعوباً: «من هناك؟ من الذي رمى حفنة التراب في المدفأة؟ مابالك صامت؟ هيّا تكلّم» وتتراءى له أشباح بهيئة نساءٍ يؤدّين رقصاتٍ مفزعة.. ويختم الكاتب هذه القصة بقوله: «أمسكوا به، لقد هرب ساكو كالمجانين». وها هي نتيجة حكايا الجدّة.

لنقرأ ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين:

«ولكن كلُّ تأديبٍ يبدو في ساعته باعثاً على الحزن، لاعلى الفرح. إلاّ

أنّه أخيراً يعطي الذينَ يتدربون به ثمرَ برٍّ وسلام» عبرانيّين ١٢: ١١.

ربما نصائحك لا تسرّ أطفالك، لكن لا تهتم، لأنّها ستجلب ثمار البرّ لهم. لقد اتخذتُ من كتابٍ ما عبرة مفيدة، بعد أن انتبهْتُ إلى إحصائيّةٍ مثيرة فيه. لقد كانت هناك واعظةٌ اسمها إليزابيت دوتس حيث كان زوجها واعظاً أيضاً. أنجبت تلك السيّدة أحد عشرَ طفلاً، وكانت تربّيهم بحسب مبادئ الكتاب المقدّس. ومن بعدهم ربّت أحفادها وأبناء أحفادها أيضاً. وهكذا بتكريس حياتها لتربية الأطفال بحسب كلمة الله، قدّمت للعالم خمسة وستّين بروفيسوراً، وثلاثة عشر عميد كلّيةٍ في جامعات كبيرة، ومئة محامي دفاع، وثلاثين قاضياً، وستّة وستّين طبيباً، وثمانين وزيراً، وثلاثة محافظين، وثلاثة رؤساءِ بلديّات، وسيناتوراً واحداً، ورئيس وزراء واحد.

لقد قدمت تلك السيدة جيلا قوياً لبلادها. وهذه هي نتيجة التربية الصحيحة.

ولكن عندنا تختلف الصّورة تماماً. فإذا كان الأب طبيباً، فيجب على ابنه أن يكون مثله، ومن ثمّ حفيده أيضاً، ويعلنون قائلين: «إنّ الطبّ متأصّل في جيناتنا».

إنّ السيدة إليزابيت قد أعطت لأطفالها قيماً ومبادئ صحيحة. ولم تقل لأبنائها: «إنّ أباكم واعظٌ، لذا يجب أن تكونوا أنتم أيضاً وعاظ». أو كأن يُقال: «أبوكم عازفٌ، لذا يجب أن تكونوا أنتم أيضاً عازفين» ينبغي على الوالدين أن يكتشفا محور اهتمام طفلهما وقدراته، ويمنحاه التربية والثقافة الموافقة.

(٩)

واجبـات الأطفـــال

بما أنّ للأهلِ واجبات نحو أطفالهم، فالأطفال أيضاً واجبات نحو والديهم.

تعالوا لنتمعّن فيما ورد في الرسالة إلى أهل أفسس وما تقوله كلمة الله بهذا الشأن: «أيها الأولادُ، أطيعُوا والديكم في الرب. فهذا هو الصواب: ″أكرم أباك وأمّك″ وهذه أوّل وصيّة مرتبطةٍ بوعد ″لكي تُلاقي الخير ويطول عمرُكَ على الأرض″» أفسس٦: ١-٣.

إذا كنت ترغب في العيش طويلاً، فعليك إذاً أن تكرم أباك وأمّك. فكلمة الرب تقول: «أكرم أباك وأمك» أي أصغي إلى والديك. لكن رُبَّ قائلٍ يقول: «ولكنّ أبواي يمنعاني من الإستقلال بعائلتي في بيتٍ آخر، ويرغماني على العيش معهم دائماً». أتَعْلَم، إنّ إكرامك لوالديك أمرٌ، ومشاركتك إيّاهم في رفض وصايا الرب أمر آخر. فكلمة الرب تقول: اصغِ إلى والديك، وقم بإكرامهما. ربّما تسأل: «أنا إنسان راشد، ولكنّ والديّ يمنعاني من الذّهاب إلى الكنيسة. فماذا أفعل؟» ليكن بعلمكم بأنّ الشخص البالغ هو من يقرّر كيف يعيش. إكرام الوالدين يعني محاولة فهمهما، لأنّهما أكبر سنّاً. لا يجوز للجيل الشاب أن يتمرّد على الكبار. الشُبّان والشابّات اليوم يتمرّدون في كل أنحاء العالم، فهم ينظرون إلى الكبار على أنّهم لا يفهمون. تذكّروا بأنه عاجلاً أو آجلاً ستصبحون في أعمارهم أنتم أيضاً، وكلّ ما تزرعوه، فإيّاه ستحصدوه.

الوصيّة الخامسة من الوصايا العشرة، تقول: «أكرم أباكَ وأمّكَ، لكي تطول أيّامك على الأرض التي يعطيكَ إيّاها الربّ إلهكَ» خروج ٢٠: ١٢.

كثيراً ما يتساءل الناس اليوم: لماذا يموت الكثيرون في أعمارٍ صغيرة؟ والجواب هو أنّهم لايكرمون والديهم. هذه هي وصيّة الرب، فمن رغب بالعيش طويلاً، عليه أن يُكرِم والديْه. ولو كنتَ متزوجاً وتعيش مع أُسرتك في منزل مستقل، فهذا لايعني أنّه لا يجب عليك أن تكرم والديْك.

فإذا كنتم غير قادرين على إكرام واحترام أهلكم، وهم أمام أعْينكم، إذاً لن تستطيعوا أبداً إكرام أبيكم السماوي الذي لا تروه.

تعلمان أنّكما عندما تتزوّجان، تصبحان جسداً واحداً معاً، وليس من العبَث أنّكما تعتبران والديّ بعضكما كأهل لكما. إننا نتكلّم أحياناً عن الحموات برعب، ولكنّ الأصهار والكنائن أيضاً ليسوا بقدّيسين. مهما كانت الإساءات التي تتلقّيانها من والديّ الزوج أو الزوجة قاسية، فلا يحقّ لكما بالتحدث عنهم بالسّوء أو بشكلٍ غير لائق. حتّى ولو كان والدكَ مدمناً على الكحول، أو يمتلك طباعاً سيّئة، فإنّه على السّواء لايحقّ لك أن تحتقره وتهينه، يجب أن تحترمه وتكرمه كأبٍ لك.

قديماً كانت هناك شريعة خاصّة بتعامل الآباء مع أبنائهم، وهي:

«إذا كان لرجلٍ ابنٌ معاندٌ ومتمرّدٌ لا يسمعُ لقول أبيهِ ولا لقول أمّهِ، ويؤدّبانِهِ ولا يسمع لهما. يُمسكه أبوهُ وأمُّهُ ويأتيان بهِ إلى شيوخِ مدينته وإلى باب مكانه، ويقولان لشيوخِ مدينته: ابنُنا هذا معاندٌ ومماردٌ لا يسمع لقولنا، وهو مُسرِفٌ وسِكّير. فيرجُمُه جميعُ رجالِ

مدينته بحجارةٍ حتى يموت. فَتَنْزِعُ الشرَّ من بينكم، ويسمع كلُّ إسرائيلَ ويخافون» تثنية ٢١: ١٨-٢١.

لقد كان هذا يخصّ الأبناء غير المتزوجين بعد، لأنّ الإنسان الراشد هو شخص يعيش لوحده. إنّ الكلمة تقول بأنّه من الأفضل أن تُخرِج الشرّ خارج المدينة وتقتله، مِن أن يبقى في المدينة ويثمر شرّاً. ففي الماضي كانت القوانين قاسية جداً. وعلى الرّغم من غياب تلك القوانين اليوم، إلا أنه في العالم الروحي ما تزال تلك القوانين تعمل. فالثملون والمتمرّدون اليوم يموتون في ريعان شبابهم، أويُقتَلون أثناء المشاجرات الشوارعيّة.

«من يشتم أباهُ او أمَّهُ يُطفئُ الربُّ سِراج حياته في الظُلمة الحالكة» أمثال ٢٠: ٢٠.

فمن كان يلعن والديه أو والديّ زوجته، فبحسب الكلمة ستنتهي حياته في الظلام. وطبعاً هذا الأمر يخصّ الزوجة أيضاً.

العائلة هي أيضاً كالسِراج، يمكن لها أن تخفُت وتنطفئ إذا ما لعَنْتَ الوالدين. ولهذا أيّها الأعزّاء هناك عائلات تعيسة وبائسة، حيث لا يشتعل سِراجُها أبداً.

أيّها الوالدان إذا كنتما قد أثرتما غضب أبنائكما، فقولا لهم اليوم: «نحن آسفان، فسامحونا، وتعالوا لنبدأ حياة جديدة». أيّها الأبناء إذا كنتم قد أثرتم غضب والديكم، فاذهبوا إليهم وعانقوهم بحرارة. فكلنا بشر ذو قلب من لحم، وقادرون على الفهم. قولوا لهما: «أبي، أمّي، تعالا

لننسى الماضي. تعالا نبدأ حياةً جديدة» فالأهل قادرون على المسامحة دوماً، كما هم قادرون على النسيان أبداً.

إذا كنتما متزوّجَيْن وتعيشان لوحدكما، وهناك عداوةٌ بينكما وبين والديّ الزوج، فاذهبا إليهما وقولا: «تعالوا ننسى كلّ شيء بيننا، ولنبدأ حياةً جديدة». وإذا كنت أنت صهراً تبغض حماتك، وتمنع زوجتك من زيارة أهلها، فخذ زوجتك واذهبا إلى بيتهم. قل لهم: «تعالوا نبدأ حياةً جديدة. أنا أنسى الماضي، وأبدأ صفحةً جديدة» وابدأ كل شيء بسلام ووئام.

أحبّائي، أريد أن أقدّم لكم الآن موجزاً عمّا كتَبْت، وأوضّح لكم الاستنتاج الأخير.

تُبنى العائلة على هذه الأُسس الأربعة:

«أيّتها النساء، اخضعنَ لرجالكنَّ كما يليق في الربَّ»
كولوسي٣:١٨

«أيّها الرجال، أحبوا نساءكم، ولاَ تكونوا قُساةً عليهنَّ»
كولوسي٣:١٩

«أيها الأولاد، أطيعوا والديكم في كلّ شيء لأن هذا يُرضي الرب»
كولوسي٣: ٢٠

«أيها الآباءُ، لا تُغيظوا أولادكُم لئلا ييأسوا»
كولوسي٣: ٢١

ولكمال تلك الأسس تقول الكلمة:

«ومهما تعملوا فاعملوه من كلّ قلوبكم كأنّه للربّ لا للناس، عالمينَ أنّ الرب سيكافئكم بميراثه، فأنتم تخدمونَ الربّ المسيحَ. أمّا الّذي يعمل الشر فسينال جزاء عمله، ولا محاباة» كولوسي ٣: ٢٣–٢٤

لاتوجد أولويّة خاصّة لأحد، وإذا لم تقم بكلّ تلك الأمور فأنت على خطأ. فعلى هذه الأسس الأربعة تُبنى العائلة.

إذا كنت تفكّر: «آه، إنّ الفوضى تعمّ في عائلتي، ولا شيء قابل للتغيير» فحينئذٍ قل: «أشكرك يا رب من أجل منحك لي فرصةً لابتداء حياةٍ جديدة» تعال الآن لنصلّي. أعلن شكرك للرب من أجل جميع الأمور الّتي أباحها الله لك من خلال هذا الكتاب. صلِّ وتُب أمام الله، واتّخذ قراراً لابتداء حياةٍ جديدة.

لنبدأ الصلاة:

يا رب غيّر طريقة تفكيرنا. سامحنا إذا كنّا لا نعطي الوقت الكافي لأطفالنا، وإذا كنّا لا نخصّص الوقت الكافي لبعضنا البعض. يا رب سامحنا إذا كنّا لا نعطي الوقت الكافي لوالدينا. يا إلهي سامحنا، وارفع عائلتنا. أيّها الربّ الإله، نحن نعطيك المجد والشُّكر من أجل كلّ شيء. يا رب طهّرنا بدمك الثّمين، وطهّر عائلتنا. لتحمينا ملائكتك على الدوام. نحن نشكرك من أجل كلّ الأمور التي أبَحتها لنا، وساعدنا من أجل إنشاء عائلةٍ صحيحة. أعطنا المقدرة على الاتّحاد. المجد لك أيها الآب السّماوي من أجل كل شيء تصنعه في حياتنا. آمين.

(10)

نصائح من كلمة الله

«مَن يُكدِّرُ حياة أهل بيته يرث الريح، ويصبح الأحمق خادماً للحكيم» أمثال ١١: ٢٩.

في أحيانٍ كثيرة يتساءل الناس لماذا لا يمتلكون ميراثاً من آبائهم، ولماذا لا يجدون البركة في أعمالهم، وكلّ شيءٍ يمدّون يدهم إليه لا يُثمر. والإجابة تكمن في هذه الوصية، حيث تنبّهنا كلمة الرب بألاّ نُكدِّر أهل بيتنا، أي أن نحرص على عدم تعذيب أو اضطهاد أو تعكير مزاج أفراد عائلتنا.

طبعاً لا يشعر أيّ إنسان بأنّه يُسبّب معاناة لأهل بيته، ظانّاً بأن تصرّفاته صحيحة. افهم أمراً واحداً، إذا كانت معاملتك وتصرّفاتك لا تروق لمن بجانبك، إذاً تلك معاناة بالنسبة له.

يجب أن يسعى كِلا الزوجين إلى تهدئة الأمور وحلِّ كلّ الخلافات والمشاكل قبل الآخر.

«شفتاكِ يَا عَروسُ تَقطُرانِ شَهْداً» نشيد الأنشاد ٤: ١١.

يجب أن يَقطُر من شفتيّ المرأة شهداً وعسلاً. في أحيانٍ كثيرة نصادف فتياتٍ جميلات، وبعد أن نعاشرهم قليلاً نلاحظ بأنّ جمالهنّ الأخّاذ يبدأ بالزوال والتلاشي رويداً رويداً.

يريد الله للمرأة أن تحتلّ مكانتها الصحيحة في العائلة. وتذكّروا دائماً بأنّه يجب أن يقطُر من شفتيّ المرأة شهداً وعسلاً.

«كماالسَّوْسَنةُ بَين الشَّوكِ، كَذلكَ حبيبتي بينَ البنات»
نشيد الأنشاد٢: ٢.

بحسب كلمة الله، بعد الزواج يجب أن تكون الزوجة السَّوسنة الوحيدة في حياة الزوج، وأمّا النساء الأخريات فيتحوّلنَ إلى أشواك جارحة بالنسبة له.

«كما التُفّاح بين شجر الوَعْرِ، كذلك حبيبي بين الفتيان»
نشيد الأنشاد٢: ٣.

يجب أن يكون في حياة الزوجة شجرة مُثمِرة واحدة، وتلك الشجرة زوجها. أما الرجال الآخرين فهم بمثابة أشجارٍ برّيةٍ لا ثمرَ لها.

«بالحكمة يُبنى البيت وبالفهم يثبت» أمثال٢٤: ٣.

بحسب كلمة الله، يجب أوّلاً أن تمتلىء مخازنُك بالحكمة، ومن ثمّ تفيض النِّعمة ويتوافر المأكل والملبس.. ففي العائلة يجب أن يكون هناك «كنز»، وهذا الكنز هو ليس ذهباً، بل هو عِلمٌ ومعرِفةٌ عن العائلة.

«لا تخترع شرّاً على صاحبكَ، وهو ساكنٌ لَديكَ آمِناً»
أمثال ٣: ٢٩.

الزوجان هما صديقان لبعضهما البعض، وبحسب كلمة الله فلا يُسمح لهما بالتفكير باطلاً تجاه بعضهما البعض، أو أن يخترع أحدهما شرّاً على الآخر. في أحيانٍ كثيرة تنهار العائلة بسبب الشكوك والشُبهات. يجب أن تكون هناك ثقة متبادلة بين الزوجين، ويجب عليهما أن يشجّعا بعضهما البعض، ويرفع كلّ واحد منهما الآخر.

هذه هي تركيبة العائلة وآليّة عملها بحسب كلمة الله.

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx